

فيل الارب

فى مقالات ومواظ القديس يوحنا فم الذهب

(المقالة الأولى)

لرد الوثنيين فى ان المسيح هو اله لم يزل منذ الازل

مقدمة

اذ كان الاكثرون من الناس - بعضهم يوجدون صابطين من ذراتهم
وبعضهم قد اسلموا انفسهم الى الاشغال العائلية بحرص كثير منهم
وغير هؤلاء قد استحوذ الجهل عليهم وفقد العلم منهم فما يتيسر
اجتذابهم بأقوال طويلة تخلصهم - لذا رأيت انه لا يلزمنى اضطرارا أن
اطيل الكلام بل انتزع غباوتهم بسهولة ايجاز الكلام - وقلت أنى أجتذب
من تهور منهم فى كسله كثيرا الى قراءة ما وضعناه بأوفسر نشاط
ولهذا الغرض لا ازين كلمائى وأجعلها بالفساظ وأسماء تصنها
لكفى اضعها وضعا يسهل فهمه من الفلام والجارية والتاجر والنرتى -
والفلاح والمرأة الأرملة فأصل من سائر الجهات الى افهامهم واقصر
بحسب طاقتى تطويل معانيها فانهض من جماعة السامعين الغافلين
ارتياحهم الى ان يستفيدوا بأيسر مرام خلوا من كل تعب ويضعوه فى
حاسة الذكر منهم وأعمد بجهدى فى ذلك أولك الوثنيين لانه منى ما
قال لنا واحد منهم من أين يكون واضحاً أن المسيح كان ولم يزل الها
نحتاج ان نصلح هذا المطلوب أولاً ونتبعه بالدلائل - فينبغى أن نشيء
البرهان على ذلك ليس من السماء ولا من البرايا الاخرى وأمثالها -
لاننى ان قلت له ان المسيح ابدع السماء والأرض والبحر فليس يقبل
قولى لانه ما يصدقه وان قلت له انه قد أقام أمواتا وفتح أعين العميان
وطرد شياطين - ما يقبل هذا القول وان قلت له قد وعدنا ملكا ونعما
صالحة يصعب علينا وصفها فلا يرفض ذلك فقط بل ويضحك على كلامى
وينكره - فمن أين استعمله الى الايمان ولا سيما ان كان غيباً متعنتاً -
فلا يمكن ان استعمله الى القبول منى الا من الدلائل التى تعترف
انا وهو بحقيقتها اعترافاً مشتركاً قد عدم مناقضة فلا يمكن ان
يشك فيها -

القسم الأول

في أن سرعة انتشار دين المسيح، دليل على الوهيقه

ولعمري إن تحديقى له أن المسيح أبدع السماء والنزايبا الآخر كلها والآيات التى وصفناها • ليس ينزله ولا يوقن به فان سألت فما هى الحجج التى يعترف هو بها • والأفعال التى ما ينكر أن المسيح فعلها أحبتك هى أن شجرة المسيحية غرس المسيح نفسه لانه ما يتردد في هذا المعنى ولا ينكر أن المسيح نصب كنائسه فى كل موضع من المسكونة • من هذا النى، نخترع البرهان على قدرته ونريه أن المسيح لم يزل لها ويقول له لا سبيل لانسان ساذج ان يشتمل فى مدى قصير • على هذا المقدار الواسع من الدنيا • الا بقوة سماوية لا يمكن تصورها فإنه قد عتق جنس الناس من عبادة شنيعة • قد تقدم استخوانها عليهم • ومن رذيلة جزيل تديرها وقد تمكنت منهم • قد جذب اليه ليس الروم وحدهم • بل وبلاد فارس وجميع الأمم أيضا على ما قد شاع به الوصف وللوصول الى هذه الأمم المتفرقة لم يستعمل أسلحة • ولا انفق الاموال • ولا سير جيوشا ولا آثار حروبيا لكن اقتادها الى طاعته • باناس خالين من العلم اميين فقراء عراة مجردين من اسلحة وحفاة ملتجئين بثوب واحد • واستمال بهم قيايل من الناس جزيل عددها وليس فى ديانتهم ذكر نعم حاضرة يملكونها • بل وصف نعم متوقعة يؤملونها • واقتلع شرائع آباؤهم بما فيها من عادات عتيقة قد القوها • وقد تأصلت فى زمان هذا مقداره فأبطل تمكنها واقتلعها وغرس عوضها شرائعه وقرائضه • التى نقلتهم من حياة كلها سهولة الى حياة تتبين صعبة • وهذا التغيير قد اجراه المسيح فى تابعيه بعد ما احتمل صليبه بما فيه من تغيير لأن تلاميذه ما انكروا أن اليهود صلبوه • وانه قاسى منهم المكاره الجزيل عددها • وقد اثبتت المسادة به كل يوم ليس فى هذه الأماكن وحدها • لكننا قد ازهرت فى كل مكان حيث كانت تحارب وبهذا النداء آمن ألوف هنا وأقربه الذين كانوا وفر وحشية من الأسود • وصاروا اكثر انقناسا من الغنم يقلسفيون و زوال الحياة وفى الموت • وفى القيامة العديدة وفى النعم المتوزر وصفتها • وهذه المحامد ما اثبتت فى المتمدن فقط • ولكننا قد خسرحت الى البرارى معها وفى الضياع والى البلدان والى الجزر البعيدة والى الموانىء والشواطىء وقد خضع للمصلوب ليس اغنياء الناس ورؤسازهم

وحدهم . لكن قد خضع له معهم بأمانة كثيرة الملوك بأعيانهم .
الموضوع عليهم تيجانهم .

القسم الثانى

شهادة كتب اليهود (الذرة)

والدليل على ذلك ان هذه الافعال كلها ما كانت على بسيط ذاتها
ولكنها قد ذكرت بنبرات كافية قبل زمان طويل . وحتى لا يكون كلامنا
متهما يستبين اذا احضرنا الكتب من عند اليهود الذين صلبره وقرنا
الشهادات التى تبين انه لم يزل الاله . وسيظهر فى شبه الناس . قال
ارميا النبى « هذا الالهنا ما نحسب لنا الاله الاخر غيره اخترع كل طريق
العلم وخولها يعقوب فتاه واسرائيل المحبوب منه : وبعد ذلك على
الارض ظهر ومع الناس تصرف (باروخ ٢ : ٢٨) اعرفت كيف
ارضح امر المسيح بالفاظ يسيرة . انه كان الهنا فتس . واذ تانس
اعتزم ان يتصرف مع الناس ويبين انه هو الذى اشترع الشريعة
الحقيقية . انه قال اخترع كل طريق العلم وخولها يعقوب فتاه .
واسرائيل المحبوب منه . فواضح انه قيل حضوره دبر كل مابه اقتادنا ،
وهو كل مابه خلصنا ، مشرعا شريعته لنا معتنيا بنا ، مشفقا
علينا ، محسنا اليانا . ونبى اخر ايضا ما ذكر انه سيقانس فقط . ولكنه
يبين مع ذلك انه سيولد من بتول . فاسمع كيف فاز : « هالعدراء
تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (الله معنا) ثم يبين ان ظهوره
اسم يكن خيالا بل حقيقة قال « زيدا وعسلا يأكل » ، وذلك هو الطعام
المألوف الذى يغذى به الأطفال فى حين ما بولدون . واذا رضح انه
ما كان انسانا ساذجا اثم كلامه ، « ننه قبل ان يعرف الصبى ان يرفض
النر ويختار الخير » (اش ٧ : ١٤ - ١٦) وان الدليل على انه
ليس يكون انسانا فقط ولكن مع ذلك من نسل داود اسمع اشياء هذا
بعينه كيف تقدم وذكر ذلك منذ اعلى الزمان ان استعمل الناظر تعكس
الى معناها وتنتقل كثيرا الى معتمدها وتقدم مع ذلك فقال ، ويخرج
قضب من جنع يسي وينبت غصن من اصوله ويحل عليه روح الرب
روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب
ولذته تكون فى مخالفة الرب ، (اش ١١ : ١ - ٣) . لان يسي كان
ابا لداود فحصل واضحا انه المزمع ان يجيء من تلك القبيلة وليس
ياتى من تلك القبيلة فقط . ولكنه سيتقدم مجيب : من بيت داود الشريف

وهذا المعنى قد تقدم هتافه به . إذ قال « وسيخرج قضيب من جذع يسي »
 فما كان قوله في وصف قضيب . لدن قوله في وصفه وفي وصف
 مملكته والدليل على أنه ما قال هذا في وصف قضيب فتد أوضحه مما
 يظنوه . لأنه إذ قال « وسيخرج قضيب » قال « ويحل عليه روح الحكمة
 والفهم » وليس يقول هذا القول قائل ولو كان عديم الفهم جدا أن نعمة
 الروح توافي الى عود . لكن من أوضح البيان إنما جاءت الى ذلك
 الهيكل الفاقد للعيب ، وما قال سيفد اليه لكن « ويحل عليه » لأن الروح
 إذا جاء اليه يقيث عليه وما انتزح عنه ، وهذا فقد قاله النذير العظيم
 الصوت واضحا « قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء
 فاستقر عليه » (يو ١ : ٣٢) ولم يصمت الكتاب عن عزم اليهود
 الذي اظهروه عندهما ولد لأن البشير قال « فلما سمع هيرودس الملك
 اضطرب وجميع أورشليم معه » (مت ٢ : ٣) وأسمع النبي كيف قد
 تقدم فهتف بهذا الأمر منذ أعلى الزمان بقوله « لأنه يولد لنا ولد ونعطي
 لنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا لها قديرا
 ابا اديا رئيس السلام » ، (اش ٩ : ٦) .

والدليل على أنه لم يقل هذا القول في وصف انسان ساذج قوله
 « الها قديرا » وذلك اقناعا للمكابرين لأنه لا يقال لواحد من الناس منذ الدهر
 « الها قديرا » ولا يقال له أيضا « رئيس السلام » أي ليس لسلامه ولا لرياسته
 حدا وطبيعة الأحوال توضح أن رياسته و سلامه وردا الى كل أرض والى كل
 صقع وبحر والى كل المسكونة والى كل الجبال والروابي والتلال منذ ذلك اليوم
 الذي ابتداء المسيح فيه فقال « سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم
 أنا » (يو ١٤ : ٢٧) .

وبيان ذلك أن سلام العالم سريع الانتقال والزوال والسلام الذي يعطيه
 هو حقيقي راسخ باقى ليس له نهاية ولا انقضاء وهذه الأفعال أفعاله .
 والحروب من كل جهة ثائرة كثيرة والاعتقالات الجزيلة في كل يوم كايضة
 ولكن الكلمة متمم أفعاله كلها . تم هذا الفعل مع أفعاله الأخرى .

وما تنبأوا فقط أنه سيصير انسانا . لكنهم مع ذلك . ذكروا حالة
 وروده لأنه اذا اعتزم أن يجيء لا يبرز بروقه ولا صواعقه من العلو . ولا
 يزلزل أرضه ولا يهز سماءه ولا ينشئ أهوالا عظيمة التأثير ولكنه يجيء
 ودعما دون أن يعلم به أحد لا يزعج ولا يرجف لأنه ولد في بيت لحم . في
 منزل للحيوانات في مذود صغير فاسمع كيف ولا هذا الفعل صممت عنه

الأنبياء لأن أحدهم يقول « ينزل مثل المطر على الجزائر » (مز ٧٢ : ٦)
 دالا بذلك على سكون مجيئه وزوال الأرجاف عنه . وما أظهروا الحال فقط
 لكنهم اظهروا مع ذلك تصرفه حينئذ مع الناس وحكمته ودعته . وأبصر كيف
 اظهر هو ذلك لأنه اذا اسلم وبصق عليه وثلب وأهين . وضرب بالسياط
 وصلب أخيرا . ما انتقم ولا من واحد من الذين فعلوا هذه الفعال ولسكنه
 احتملها كلها يسامى فلسفته وداعته صابرا على الاهانات والاعتقالات
 وهيجان الغضب غضب ذلك المحفل الظالم وهذا جميعه فقد أوضحه الكتاب .
 وقال « قسبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء الى الأمان يخرج
 الحق . وتنتظر الجزائر شريعته » (اش ٤٢ : ٤٣) ونبي آخر أيضا يبين
 المكان الذى أزمع أن يولد فيه بقوله هكذا « أما انت يا بيت لحم افرائيم ، وأنت
 صغيرة أن تكونى بين الوف يهوذا فمئذ يخرج لى الذى يكون متسلطا على
 اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢) . ولهذا يبين
 لاهوته وناسوته بقوله « ومخارجه منذ القديم » قد أوضح وجوده الذى قبل
 الدهور وبقوله « فمئذ يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل » يبين لاهوته
 ومولده بذات جسمه .

وتأمل أيضا نبوة أخرى لامعة لأنها ما ذكرت انه سيولد فقط ولسكنها
 مع ذلك أظهرت موضع ولادته بأنه سيكون مشرفا على أن المكان كان حقيرا
 صغيرا . لأن أهل المسكونة كلها تحاضر الآن معا لتبصر بيت لحم القرية التى
 فيها ولد وصار المكان مشرفا ليس من جهة أخرى الا من هذه الجهة
 وحدها . وتأمل أن النبى أيضا قد أظهر الوقت الذى أزمع أن يوافى فيه
 بقوله هذا القول « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى
 يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب رابطا بالسكرمة جحشه وبالجفنة ابن
 اتانه غسل بالخمير لباسه وبدم العنب ثوبه . مسود العينين من الخمر
 ومبيض الانسان من اللبن » (تك ٤٩ : ١٠ - ١٢) .

أرايت أن هذه النبوة لائقة بالمعنى لأنه جاء حين فنيت رؤساء اليهود
 وصاروا تحت حكم الرومان وتمت هذه النبوة « لا يزول قضيب من يهوذا
 ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب » فالنبوة
 تصف حضور المسيح الهنا لأنه حين ولادته صار ذلك الاكتساب الأول لما
 استولى قبصر الرومان على أمة اليهود واقتادهم تحت نير عبوديته ، وقد

دلت بعد ذلك على معنى آخر ، بقولها « وله يكون خضوع شعوب » لأنه لما جاء اجتذب الأمم كلها وقد قام عليه هيرودس حين ولد واعتزم قتل الأطفال ليكون منهم وهذا الحادث لم تصمت الأنبياء عنه أيضا لكنهم قدموا هتافهم عنه قبل حدوثه بسنين كثيرة يقول أحدهم « صوت سمع فى الرامة نوح بكاء مر · راحيل تبكى على أولادها وتأبى أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين » (ار ٣١ : ١٥) وإذا اعتزم أن يذهب الى مصر وضع ذلك القول بعضهم « من مصر دعوت ابنى » ولما جاء فيها واعتزم فى الحين أن يخرج آيات فى مواضع ظاهرة وقد قدم الأنداز بذلك فقال أشعيا النبى « أرض زبولون وأرض نفتالى ·· يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم · الشعب أسالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما الجاسون فى أرض ظلال الموت اشرق عليهم نور » (اش ٩ : ٢١) موضحا بذلك حضوره هناك وتعليمه والمعرفة الحاصلة لهم من عجائبه · ثم وصف أيضا عجائب أخرى كيف شفى العرج وكيف فتح العميان وكيف جعل الخرس ينطقون فقال « حينئذ تتفتح عيون العمى وأذان الصم تتفتح حينئذ يقفز الأعرج كالابل ويترنم لسان الأخرس » (اش ٢٥ : ٦٠) وهذا الأمر ما حدث فى وقت من الأوقات الا حين ورود ربنا لما صنع آيات وعجائب ·

وقد حل فى وقت من الأوقات الى الهيكل فسيحه الأطفال الذين يرضعون الثدي بنعمة فاقدة فصاحتها بتسابيح ظاهرة قائلين هذا القول « اوصنا فى الاعالى مبارك الآتى باسم الرب » وهذا فقد تقدم النبى من أعلى الزمان وذكره بقوله هذا القول « من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا بسبب اضدادك لتسكيت عدو منتقم » (مز ٨ : ٢) وهذا معناه ابتعاد اليهود عن خالقهم مع أن العامة الذين لم يعرفوا شرا سمعوه نغمهم بالحمد كرسله · وعندما خاطب اليهود فى معان كثيرة خاطبهم لأجل زوال فهمهم خطابات كثيرة · مستورة المعنى كأنه برمز وأمثال · هذا الغرض قد تقدم النبى وذكره منذ أعلى الزمان وقال « اميلوا أذانكم الى كلام فى افتح بمثل فى · اذيع الغزا منذ القدم » (مز ٧٨ : ٢٠) ومع ذلك فالحكمة التى تجلت منه فى مفاوضته الجموع قد تقدم النبى فاذاعها قديما أيضا وقال « انسكبت النعمة على شفتيك » (مز ٤٥ : ٢) وقال نبى آخر « عبدى (وفى الترجمة الأصلية ابنى) يعقل بطهالى ويرتقى ويتسامى جدا » (اش ٥٢ : ١٢) وقد وصف هذا النبى أيضا أفعاله التى صنعها حين وروده بحكمة عجائبه بلفظ وجيز غاية فى السمو وقال « روح السيد الرب على لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين ،

أرسلنى لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمسيبين بالعتق، وللمأسورين بالاطلاق لأنادى بسنة مقبولة للرب ، (اش ٦١ : ٢١) والدليل على أنه أحسن اليهم واعتزموا هم أن يبتعدوا عنه باطلا وما كان فى امكانهم أن يذكروا له عيبا صغيرا ولا كبيراً ما قاله داود النبى ليوضح ذلك بقوله « أكثر من شعر رأسى الذين ييغضوننى بلا سبب (مز ٦٩ : ٤) وحين اعتزم أن يركب على جحش واتان ويدخل الى المدينة على هذه الحال ، تقدم زكريا النبى من اعلى الزمان وانذر بهذا الفعل على هذه الصفة بقوله « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان » (زك ٩ : ٩) واذا أخرج باعة الحمام وأصحاب موائد الصرف وعمل هذا العمل بغيرته لببت أبيه موضحاً أنه ليس بضد لببت أبيه لكنه ذو مشيئة واحدة معه تقدم النبى وهتف بوصف العزم الذى به عمل هذا العمل بقوله « غيرة بيتسك اكلتنى » (مز ٦٩ : ٩) وهو قول بليغ ما أوضحه . وحين أزمع أن يسلم وأن يقوم بتسليمه من يشاركه فى المائدة تعجب كيف أعلن النبى ذلك بقوله « أكل خبزى رفع على عقبه » (مز ٤١ : ٩) وتأمل اتفاق خبر الانجيل مع هذه النبوة فعند العشاء قال « الذى يقمس يده معنى فى الصحفة هو يسلمنى » (مت ٢٦ : ٢٢) واعتزم أن يسلمه ليس على بسيط ذات التسليم لكن بعد بيعه لدمه الكريم وأخذته ثمنا له فما صمت النبى أيضا عن هذا لكن أظهر ما اتفق الفريقان عليه فذلك قال « ماذا تريدون أن تعطونى فإنا اسلمه اليكم . فجعلوا له ثلاثين من الفضة » (مت ٢٦ : ١٥) وقال بمعنى الرمز « فم الخاطى وقم الغاش انفتحا على » فهذا الدافع إذ عرف أنه بعد ذلك أتى اثما عظيما طرح الفضة وبادر الى خلق ذاته وأهلك على هذا الوجه نفسه وأسلم امرأته الى ترميلها وأولاده الى تيتهم وبيته الى اقفاره فانظر الآن كيف حقق النبى مصابه هذا على هذه الجهة بقوله « نكثن أيامه قليلة ووظيفته لياخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما وامراته أرطلة . ليته بنوه تيهانا ويستمطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم » (مز ١٠٩ : ٨-١٠) .

وصار بدلا من ذلك المسلم متياس الرسول فهتف النبى بذلك قائلاً :

« وظيفته يأخذها آخر » .

وبعد تسليمه والقبض عليه بايثاره انتصب عليه مجلس حكم مملوء

مخالفة كثيرة للشرعية من اليهود والأمم فابصر كيف قد تقدم النبي قذرك
ذلك وقال « لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل . قام ملوك
الأرض وتامر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما
وننطح عنا ربطهما » (مز ٢ : ١-٢) وان قال بيلاطس « اصلب ملككم »
هتقوا بذلك الصوت قائلين « ليس لنا ملك الا قيصر » (يو ١٩ : ١٥) كل
هذا الهياج ضد ربنا وهو صامت لا يتكلم وصمته هذا فقد اوضحه
اشعياء وقال « كناية تساق الى الذبح وكنعجة صامته امام جازيها فلم
يفتح فاه » ثم بين غرض القضية الباطلة المقامة ضده فقال « ظلم اما هو
فتدلل » ومعنى هذا هو انه لم يحكم عليه احد حكما عادلا . ثم ذكر علة
ذبحه لانه قاسى ما قاساه ليس لأجل خطايا اجترمها لانه كان خاليا من العيوب

ولا يمكن ان يتصل اليه خطأ واتما اسلم من اجل خطايانا (رو ٤ : ٢٥)
تأمل كيف أشار النبي الى ذلك بقوله « على انه لم يعمل ظلما ولم يكن في
فمه غش » وان سالت فلم قتل ؟ اجابك النبي « مجروح لأجل محاصينا مسهوق
لأجل انماننا » وان استخبرت ماهى الفاتحة السكائنة من صلبه وموته .
اجابك هي هذه الخيرات التي قد نلناها الآن والتي بها ازال رذيلتنا وتلافي
العيرواحات الحادثة في نفوسنا وشفافها وداواها بتلك الدواوة العجيبة اليجيمة
وانظر كيف تقدم النبي فاذاع هذا الفعل بقوله « كلنا كفتم ضللنا ملنا كل
واحد الى طريقه » وقوله « تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا » .

ولم يسكت الكتاب عن ذكر عقاب اولئك المعصاة الاشرار الذين اضلوا
به تلك الالهات بل قال « الساكن في العموات يضحك . الرب يستهزئ
بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه » (مز ٢ : ٤ ، ٥) واصفا
شقاوتهم في كل موضع من المسكونة وهذا للجلاء فقد اوضحه الرب في
بشامته وقال « اما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان املك عليهم فاتوا بهم
الى هنا واذبحوهم قدامي » (لو ١٩ : ٢٧) .

ولما فكر الانبياء كيفية موته لم يسكتوا عن ايضاحه بل تكلم احدهم
قائلا « ثقبوا يدي ورجلي : احصى كل عظامي » (مز ٢٢ : ١٦ و ١٧) وكذلك
تكلموا عن كيفية دفنه فقال الرتل « بين الاموات فراشي مثل القتلى المضطجين
في القبر . . وضعتني في الجب الاسفل في ظلمات في اعماق » (مز ٨٨ : ٦ ، ٥)

ومع ذلك لم يصمت النبي عن أنواع حنوطه لأن النسوة إذ أحضرن مرا وميعة وسليخة قال النبي « كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار » (مز ٤٥ : ٨) ثم توقع قيسامته من القبر فانظر كيف تقدم النبي بإذاعة هذا الخبر فقال « لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية • لن تدع ثقبك يرى فسادا » (مز ١٦ : ١٠) والدليل على أنه أراح الناس من الشيطان وجنوده وكسر أسلحة القوى وعمل هذا العمل بموته عوضا عنا ودفع الى الموت نفسه بأنه اعتزم أن يرد المخطوف ويرث هو كثيرين ثم انحدر الى الجحيم وارعب كل الذين هنالك وملأهم قلقا ونقض قلعة العدو اسمع الساكنين أسفل يقولون بعضهم لبعض « ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد • رب الجبود هو ملك المجد » (مز ٢٤ : ٧-١٠) وأشعيا يقول « أنا أسير قدامك والهضاب أمهد • أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف • وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء • (اش ٤٥ : ٢ و٣) ملقبا الجحيم بهذا اللقب لأنه وان كان جحيما الا أنه ضبط نفوس قديسين وأرأى مكرمة مثل إبراهيم وأسحق ويعقوب • فلذلك سماه كنوزا ودعاه مظلما لأن شمس العدل لم يكن قد ظهر بعد •

والدليل على أنه اعتزم أن يرتقى الى السماء ولا يقيم فى الأرض هو أن هذا الارتقاء اهتم به الأنبياء قديما فقالوا « صعد الله بهتاف الرب بصوت الصور » (مز ٤٧ : ٥) موضحا بالتهليل واليوق ظهور ارتقائه واعتلائه • والدليل على أنه إذ طلع اعتزم أن يقف ليس مع الملائكة ولا مع قوة أخرى لكنه أزمع أن يجلس على العرش الملكى بعينه • اسمع ما قاله النبي فى إيضاح ذلك « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك » (مز ١١٠ : ٦) •

القسم الثالث

فى سلطان الرسل وقوة خدمتهم على ضعفهم ورقة حالهم

واعتزم بعد ذلك أن يرسل رسله وهذا الفعل قد سبقت الأنبياء وهدفت به « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القاتل لصهيون قدماك الهك » (اش ٥٢ : ٧) .

وإذا تأملت أثر جزء يمدح من أجزاء الجسد تجده يمدح الرجلين اللتين حملتاها الى كل صقع . ثم ذكر حال اقتدارهم فقال ربنا يعطى المبشرين بقوله « قوة كثيرة » لأنهم ما حركوا أسلحة ولا انفقوا أموالا . ولا قهروا بقوة جسمهم ولا بكثرة جيوشهم . ولا بشيء آخر هذا تأثيره . لكنهم قهروا بكلام ساذج وقوة غزيرة واطهار آيات لأنهم بمناداتهم بالمصلوب واخراجهم معجزاته استظهروا هذا الاستظهار على المسكونة لهذا المعنى قال الله « يعطى المبشرين بقوله قوة كثيرة » واصفا آياتها لأنها بالحقيقة قوة تفوق الوصف . كانت تنهض الصياد والعشار وصانع الخيام وبأوامر ساذجة كانوا يقيمون أمواتا ويطردون شباطين ويشفون مرضى ويكفون الفلاسفة ويسدون أقواه الخطباء ويقلبون الملوك والرؤساء ويستظهرون على كافة الأمم والوثنيين . فهذه الفعال كلها وصلوا إليها بذلك القول الالهى وبقوة جزيطة نقلوا الى الأحياء أمواتا والخطاة الى متدينين والمعنى الى ناظرين . ونقلوا اسقام طبيعتنا وطردوا رذيلة أنفسنا .

ثم من أين حصلت هذه القوة ؟ ابحت تجدها حصلت لهم من الروح العزى . وهذا المعنى قد أوضحه الكتاب بقوله « وامتلا الجميع من الروح القدس » (ا ع ٢ : ٤) والدليل على أن نعمة الروح القدس وردت فى السنة نارية واقامت فى اقوامهم أن يوثيل النبى قد تقدم فقال منذ القديم « ويكون بعد ذلك اثنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوكم احلاما ويربى شبابكم رؤى . وعلى العبيد ايضا وعلى الاماء أسكب روحى فى تلك الأيام » (يو ٢ : ٢٨ و ٢٩) ثم تقدم فانذر باليوم المنتظر ولم يصمت عن ذكره فقال « قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف » (عد ٣١) ثم

أوضح خلاصنا بايماننا فقال « ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو »
(عد ٣٢) .

ولم يرسلهم فقط ولكنه تفضل فأنقذهم الى كل صقع من المسكونة .
ولم يبق أحد ما لم يسمع نداءهم لأن الى الأرض كلها شخصت نعمتهم والى
أقاصى المسكونة وصلت كلماتهم .

ثم بين أنهم نادوا بسطان كان أوفر اقتدارا من ذوى التيجان فقال
« تقيمهم رؤساء على الأرض بأسرها » والدليل على أن هامتى الرسل بطرس
وبولس كانا رؤسيتين أفضل من الملوك فيوضحه أعمالهما لأن شرائع الملوك
قد تنتقض وهم بعد أحياء . وشرائع هذين العظيمين مع رفائهم
الصيادين ثابتة متمكنة وهم قد قضوا آجالهم وهى باقية قد عدت أن
تكون متحركة وهذا التمكن تمكثها بعد أن حاول نقضها ملوك كثيرون بأنواع
عقاب عديدة وبأسلحة العذاب الشديد والفاظ الخطابة والبلاغة واللفظ
والصداقة واللذة والعادة المألوفة والرذيلة الكثيرة والشياطين وابليس
المحال نفسه وعوائق غير هذه جزيل عددها .

والدليل على أن الرسل صاروا رؤساء ممتازين وصاروا يؤثرون
على من ترأسوا عليهم أنه لم تكن حالهم حال الرؤساء الكثيرين فلم يكونوا
مرهوبين مستعلين مخيفين وذلك كالكقول « لذلك تشكر لك الشعوب الى
الدهر » ومعنى ذلك هو أنهم يشكرون لك فضلك ويعتبرونها لك نعمة جزيلة
أنك خولتهم رؤساء هذا الرفق رفقهم .

القسم الرابع

في قبول الأمم دعوة الرسل للخلاص

والبرهان على أن النداء بايمانه يشتمل على كل مكان اسمعه قائلا :
 « اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك » (مز ٢ : ٨)
 وقال أيضا في موضع آخر « لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما
 تغطى المياه البحر » (حب ٢ : ١٤) وذكر سهولة طاعة هذه الأمم فقال « ولا
 يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم
 سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم » (ار ٢١ : ٢٤) وبين أن نظام الكنيسة
 سيكون في الأيام الأخيرة خالفا من شتات يناله فقال « ويكون في آخر
 الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري
 إليه كل الأمم - وتسير شعوب كثيرة » (اش ٢ : ٢ و٢) والدليل على أن
 البيعة ليست ممكنة فقط لانتزع لسكن تكون سلامتها مع ذلك كثيرة تشتمل
 على كافة المسكونة وبينما الرياسات الكثيرة في البلدان تنقض وتزول تصير
 رياستها هي بعد زمان يسير ممتدة وتكون مملكة واحدة - وأكثر السلامة
 تكون لا كما كانت سالفا في ذلك العصر القديم إذ كان الصناع بأيديهم
 يعملون والجبابرة يقتلدون أسلحتهم ويفنون في صف الحرب - فلما جاء
 المسيح هنا انتقضت تلك العادات كلها ووقفت أفعال الحروب في قسم
 محدود - فقد تقدم اشعيا النبي فأوضح ذلك قائلا « فيطبعون سيوفهم سكا
 ورماحهم مناجل - لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد »
 (اش ٢ : ٤) لأن في الأول كلهم عاشوا في هذه الأعمال والآن فقد نسوا
 صنائعهم هذه بعينها - واليق ما يقال أن أكثرهم تركوا تلك الصناعة وأن
 حدثت الآن حروب قليلة فما تأثيرها بالمقابلة مع تلك الحروب المتصلة في
 ابتداء الزمان حين كانت تثور في كل أمة فتن وحروب جزيل عددها .

ويصف مع ذلك من أين تتكون الكنيسة لأنها أزمعت أن تحوى ليس
 الأناس الوديعين ولا الأنيسين الصالحين فقط ولكنها تحوى مع ذلك أناسا
 كانوا متوحشين عادمي الانسانية في ذواتهم ويصيرون كلهم كنيسة واحدة
 اسمع النبي كيف قد أوضح تكون قطعانها وقال « فيسكن الذئب مع
 الخروف » (اش ١١ : ٦) مظهرا ما يجري بين الملوك المؤمنين والدليل على

ان هذه الأقوال ليست فى وصف وحوش قليل لنا اليهودى متى حدث هذا لأن ما رعى فى وقت من الأوقات نثب مع حروف فان كان يؤمل أن يرعى فى المستقبل فما المنفعة التى يفيدها هذا الحادث لجنس الناس لكن هذا القول انما قيل فى وصف سجية الناس الوحشيين المتتمرين . فى وصف الصقالية وأهل اتراكيس والسودان والهند وبلاد فارس والبرهان على أن هذه الأمم كلها ستتحد فى عبادته فقد بينه نبي آخر فقال « فسيسجد له الناس كل واحد من مكانه كل جزائر الأمم » (صف ٢ : ١١) ومعنى هذا الكلام الواضح أنهم ما يسجدون أيضا له بأورشليم فقط بل فى كل صقع وموضع من المسكونة لأنه ما قد أوعز الى الناس أيضا أن يسيروا الى أورشليم بل كل منهم يثبت فى منزله ويتم هذه العبادة والدلالة على أن اليهود سيخرجون ويتعدون اسمع النبى كيف قد تقدم فذكر ذلك فقال « من فيكم يغلط البساق بل لا توقدون على مذبحى مجانا . ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم » ثم بين من هم العتيدون أن يخدموه فقال « لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لأسمى بخور وتقدمة طاهرة (ملا ١ : ١٠ و ١١) أرايت كيف قد أوضح شرف عبادة المسيح وكيف أن مذهبها هو الأفضل المتميز لأنها ما تصير فى مكان واحد لكنها تكون فى خلقنا وسجيتنا ولا تكون بلحم ودخان ورش رماد ودم لكن افعال خدمته تكون بديانة أخرى .

ولعل قائلًا يقول وكيف استجذب الرسل هؤلاء الناس كلهم وكانت لغتهم واحدة وهى اللغة العبرانية كيف استمال واحداً فواحداً منهم الصقلى والهندي واليونانى والسريانى والفارسى والانتراكى الى القبول منه فنجيبه لانهم استمدوا من نعمة الروح موهبة كثيرة اللغات هذه النفسى الفعل ولم يذكر ذلك الرسل وحدهم لكن الانبياء معهم قد أوضحوه ويظهر من نبواتهم أيضا أن الرسل اقبلوا معرفة مختلف اللغات وأنهم ولا بهذه المعجزة اجتذبوا اليهود كما قيل فى نبوة اشعيا « انه بشقة لكنا وبلسان آخر يكلم هذا الشعب » ومع ذلك قال أيضا « ولكن لم يشاؤا أن يسمعوا » (اش ٢٨ : ١١ و ١٢) فإى كلام نريده أبين من سدا ؟ ولما اعتزم اليهود على ذلك تقدم وذكر أنهم سيجحدون المسيح والأمم يباعدون مسرعين اليه لأن اشعيا النبى قد أوضح ذلك فقال « أصغيت الى الذين لم يسألوا عنى وجدت من الذين لم يظليونى . قلت هاأنذا هاأنذا لامة لم تسم باسمى » ثم

قصص اسرائيل بقوله « بسطت يدي طول النهار الى شعب متمرده » وقال ايضا « من صدق خبرنا ولن استعلن ذراع الرب . نبت قدامه كفرخ وكعرق من ارض يابسة » (اش ٥٣ : ١و٢) وما قال من صدق تعليمنا لكنه قال « من صدق خبرنا » فما هنا بين انهم ما ينطقون بلفظ من ذواتهم بل ما أخبروا به من الله اياه اذا عوا . وازمع أيضا أن يكرم حظوظنا أكثر من حظوظ أولئك ويفضلها عليها وابصر النبي أيضا كيف قد أوضح هذا الفعل بقوله « فانا أغيرهم بما ليس شعبا بأمة غبية أغيظهم » (تث ٢٢ : ٢١) وأصفا حفاوة الشعب ولهذا المعنى قال « بما ليس شعبا » لأن الأمم ما ظنوا أنهم سيكونون شعبا لله نظرا لحقارتهم الكثيرة وعدم فهمهم الا أنهم حصل لهم من ايمانهم انتقال انتهى تقديره الى أن ظهورا أكثر تفضيلا من أولئك اليهود الكرمين . ولعمري أن هذا الحادث ازمع أن ييكت اليهود حتى يجتهدوا ليصيروا أفضل مما كانوا فبين النبي هذه الحوادث كلها لأنه لما قال سأفضلهم قصد بعلمه السابق أن يوبخ عصيانهم بطاعة الأمم فقال « أغيرهم بما ليس شعبا » وأعطيه نعما صالحة يبلغ تقديرها أن تحسدوه انتم حتى أنه يوبخكم . وهذا الحادث جعلهم أفضل مما كانوا لأن الذين كانوا قد سمعوا خطاب موسى وأبصروا معجزات أنبياء جزيلا عددهم وعابنوا بحرا منقلبا وصخورا متشققة وهواء منقولا وشاهدوا عجائب هذا تقديرها ونبحوا بعد ذلك أولادهم للشياطين وعبدوا بأعل فاغور وضحوا لأشجار كثيرة فلما تقدمنا نحن الأمم الى ربنا واستبانت أحوالنا أفضل مما كانت كثيرا وبخنا نحن اليهود بهذه الصورة فارتدعوا وصاروا أفضل مما كانوا لأن ما لم تعلمه النبوات ومشاهدة العجائب والمعجزات أصلحته غيرتهم منا لأنه ولا واحد منهم الآن يذبح أولاده ولا يبادر الى الأصنام ولا يسجد الى عجل .

القسم الخامس

فى ذكر بعض نبوات اخرى عن المسيح

وصورة البتولية ما كانت الشريعة العتيقة تذكر اسمها ولكن لما ازمعت ان تشرق فى البيعة الجديدة وأبصر داود المغبوط ذلك تقدم فنذكر هذه القضية اذ قال هذا القول انها تقدم لملكنا عذارى خلفها منقادات الى هيكل ملكنا . ولعمري انه ما صمت عن ذكر اسم الكهنة بعينه اعنى اسم الأساقفة والرقباء لأنه قال لأقيمن رؤسائك فى سلامة ورقبائك فى العدل . واعتزم أن يجيء ويطلب الناس بخياناتهم ويطلب اليهود مع غيرهم وابصر كيف قد تقدم ملاحيا فقال هذا القول « لأنه مثل نار المحصر ومثل اثنان القصار فيجلس ممحصا متقيا للفضة » (ملا ٣ : ٢٠٢) موافقا كلام بولس لأن يوم القيامة يدل أنه يشطر بنار وداود أيضا قد انذر بمجيئه الثانى وقال « السحاب والضباب حوله » (مز ٩٧ : ٢) لأن مجيئه الأول حوى لطفًا وقربًا كثيرًا ومجيئه الثانى فما يكون هذه الحال حاله ولكنه يكون من السموات بعينها ويثبت حول محافل ملانكه ويلمع بوروده براياها كلها بيروق تبرق عليها لأنه قال عز توله « لأنه كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغرب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان » (مت ٢٤ : ٢٧) موضعا ظهوره وأنه حينئذ ليس يحتاج الى نذير يتذر به لكن مجيئه يوضح ذاته وهذا المعنى فقد أوضحه النبى وقال الهنا يرد ورودا ظاهرا ثم استورد مجلس حكمه المنتظر وقال « يأتى الهنا ولا يصمت . نار قدماه تاكل وحوله عاصف جدا » وملاحيا ذكر أنه مثل نار المحصر ومثل اثنان القصار وداود بعد ذكر عقوباته ويصف فعله الالهى فقال « يدعوالسموات من فوق والأرض الى مداينة شعبه » والأرض ها هنا يقصد بهاكافةالجنس البشرى وسيحضر مع كل جنس البشر جنس اليهود أيضا لأنهم اياهم يقصد فقال « اجمعوا الى اتقيائى القاطعين عهدى على سبيحة وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان » (مز ٥٠ : ٦٠٥) ومعنى ذلك ان الهنا لما جاء أولا ابطل الذبائح وأمر أن لا تقدم له أيضا وأن تقبل هذه الضحية التى لنا وعباداتنا . اسمع كيف قد تقدم الانذار بهذا اذ قال « سبيحة وتقدمة لم تسر » (مز ٤٠ : ٦) « ولكن هيأت لى جسدا » (عب ١٠ : ٥) لأنه

بجسده ازمع أن يثبت فرائض شريعته الجديدة وأفعال طاعتنا لذلك قال « هيات لى جسدا » وهذا المعنى فقد بينه النبى فى غير هذا الموضع وقال « شعب لم أعرفه يتعبد لى من سماع الأذن يسمعون لى » (مز ١٨ : ٤٤و٤٣) ما رأى بحرا مفلقا ولا صخورا مشقة تفيض ماء ولكنه سمع من رسلى فيها هنا هيات لى جسدا ، حينئذ قلت هأنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عنى ، (مز ٤٠ : ٧) فأوضح هذين الفعلين انه قد حضر حينئذ حين انقضت الذبائح وذلك حدث حين انتقلت رئاسة اليهود الى رئاسة اهل رومية وأنه قبل وروده قد تقدم الانذار بمجيئه .

فان سألت وكيف كتب من أجله انه سيحضر أجيبك ان ياروخ قال سيظهر فى الأرض ويتصرف مع الناس وموسى يقول هذا القول « قال لى الرب : اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه ، (تث ١٨ : ١٨ و١٩) أرايت هذا العارض انه ماعرض ولا لواحد من الناس الا له وحده لأن انبياء كثيرين قد فاتوا وعصوهم كلهم وخالفوهم الا أنهم ما نالهم مكروه . ولما خالفوا هذا وعصوه صاروا تائهيين ضالين هاربين منتقلين يجولون أماكن كثيرة وغربوا من مدينتهم ومن عبادات آباثهم وشرائعهم وحصلوا فى هوان وعذاب وعقاب وفى الفواح التى قاسوها على أيام اسباسيانوس وتيطس التى ما يمكن وصفها وكان السبب على هذه الصفة يفوق كل مصيبة وفيهم تم قول موسى النبى « ان الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه ، لهذا السبب اقفرت اقوالهم وافعالهم كلها لما عصوا ذلك النبى وخالفوه .

القسم السادس

فى أن شرائع ملوك العسالم تنتهى بموتهم

وأما شريعة المسيح ففقدت نأيدت بموته

والدليل على أنه يقيم الناس كلهم فقد قدم أنبى ايضاح ذلك بقوله سيقوم الموتى الذين فى القبور لأن النداء الذى منك هو شفاء لهم . لأن بعد صلبه وبعد ذبحه تكون أحواله أبهى مما كانت حسنا لأن بعد قيامته لبثت المناداة به بل أخذت تزيد لأنه لما ربط واسلمه تلميذه وبصق عليه وثلب وضرب بالسياط وصلب على خشية واقتسم الجنود لباسه ولم يؤهل عند أولئك أن يوضع فى قبر وقضوا عليه بسوء نية فأنزل منزلة مجد وفضل عليه باراباس الغاصب لأن رهط اليهود قال « كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر » (يو ١٩ : ١٢) وأيضا « هاقد سمعتم تجديفه » (مت ٢٦ : ٦٥) فاذمعت هذه العوارض أن تعرض كلها له لا تخافن مطلقا لأجل هذه الحوادث الحادثة على المصلوب على المضروب بالسياط على اللطوم على خده على المبصوق عليه على الذى ثلبه اللص على المقتول بتهمة اغتصاب وتجديف . فهذه الاهانات العديدة هى التى ستكون من أصل كرامته بعد قيامته حتى انه ليس يقاوم بعد بل يصير له تكريم كثير . وهذا الحادث الذى حدث هو الذى تقدم النبى وهتف به قائلا « ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم (أى المقام) راية للشعوب اياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا » (ش ١١ : ١٠) فهو يشير الى نوع وفاته بعينه بأنه أوفر كرامة من التاج لأن الملوك الآن اذا وضعوا عليهم تيجانهم يرسمون فيها علامة الصليب التى هى سمة وفاته وفى حللهم البنفسجية اللون وفى تيجانهم وعلى أسلحتهم وصف علامة الصليب وفى الصلوات عند اجتماع المؤمنين يظهر الصليب على المائدة الطاهرة وفى كل صقع من المسكونة الصليب يلعب أكثر من لمعان الشمس « ويكون محله مجدا » . على أن شرائع الناس وأوامرهم من شأنها أن تقوم فى وجودهم والموفقون منهم تزهر أوامرهم فى حياتهم واذا قضوا آجالهم تنتقض مع أعمارهم وأوامرهم وهذا ما شاهدته حاصلا ليس للغنى من الناس ولا للرتيس فقط ولكنه يتم مع الملوك أنفسهم ويبان ذلك أن شرائع الملوك تبطل بعدهم وتمائليهم تاللم وذكرهم يخمد واسمهم ينسى وذوهم

ينكرون والمختصون بهم يصيرون في الذل والهوان بعد ان كان الكثيرون يخافونهم ويعملون بإشاراتهم . نعم جموعهم ومدنهم يتحول حالها وبعد أن كان في وسعهم أن يقتاوا ويستعبدوا ويستعيدوا المأسورين من بلدانهم الا أن أحوالهم كلها مع ذلك تننقض بعدهم وإن كانت فيما سلف عظيمة معتبرة .

وأما في أوان صلب ربنا فحدث خلاف ذلك لأن في وقت صلبه كانت كتابة عظيمة لأن يهوذا أسلمه وبطرس جحده وبقاى التلاميذ فروا وتركوه وبقى وحده بين أعدائه وكثيرون بعد ايمانهم به رجعوا الى الورا فاما بعد أن ذبح وقضى أجله فقد صار الامر بالعكس . ولكي تعلم أنه ما كان انسانا فريدا سادجا وانه يستحق ان يتعجب من أحواله هو ان اوامره ما انتقضت بموته لكن أعجب من ذلك انها صارت أبهى حسنا وأبهج واعلى سموا مما كانت كثيرا فان بطرس الذى لم يحتمل قبل صلبه كلام جارية بوابة بل أقسم أنه ما يعرف المسيح تراه بعد صلبه سائرا في المسكونة أجمع مشيرا الى أن المصلوب اله واخيرا اقتبل واثته بالصليب منكسا وجسوع من الشهداء ذبحوا واختاروا أن يقتلوا افضل من أن ينطقوا بما نطق به بطرس عند خوفه من البوابة . والآن فكل بلد وكل مدينة وكل قرية ومسكونة تتسأى به مصلوبا والملوك والرؤساء والقواد والأمراء والعبيد والأحرار والأغنياء والفقراء والحكام واجناس الناس المختلفة وكافة الأرض التى تراها الشمس قد رصل اليهم اسمه وخضعوا وسجدوا له لى نعرف ما هو « ويكون محله مجدا » فالمكان الذى اقتبل ذلك الجسم الذبيح كان صغيرا وحقيرا جدا وهو الآن أشرف من ايوانات كثيرة ملوكية وأوفر تكريما من الملوك « ويكون محله مجدا » .

وهذا الحادث بعينه فما عرض له فقط ولكنه قد عرض لتلاميذه لأن المحققين المستهان بهم المعتقون الذين ذاسوا مصاعب جزيلة لما قضوا آجالهم صساروا أوفر تكريما من الملوك والمظماء وفي مدينة رومية أقدم المدن يهلون ملوكهم وأعيانهم وثافة أشغالهم ويجرون الى قبرى الصديق والخيمي (أى بطرس ويولس) وفي مدينة القسطنطينية ملكة المدن قد اعتبره الملوك ذوى التيجان فخرا عظيما ان تدن انفسهم ايس عند أحداث الرسل ولا بقربهم بل بالفضاء الذى قدام الباب خارجا وصار الملوك يوايين للصيادين وسيظلون هكذا موقرين الى الأبد .

وتأمل أيضا فى الشرف العظيم الذى تحول اليه الموت اللعين الأقبیح من الميتات كلها الذى ماته مخلصنا لأنه ليس من أنواع الموت ما يصير المائت به تحت لعنة . فالمخطنون فى الزمان القديم بعضهم كانوا يحرقون وبعضهم يرحمون وبعضهم ينتهى عمرهم بصنّف غير هذا من التعذيب وأما المصلوب المعلق على خشبة فلم يقاس فقط هذا التعذيب الصعب لكنه مع ذلك « ملهون كل من علق على خشبة » (غلا ٣ : ١٣) الا ان هذا الصليب الذى يخلع اللعنة على من صار اليه صار مع ذلك هذا الصليب مشرفا وأبهى من التيجان حسنا لأنه ليس لتاج الملك الآن من الاعتبار كما للصليب الاكرم وهذا الذى كان كافة الناس يرتاعون منه قديما قد صار الآن الى هذا المجد عند جميع المؤمنين ماثورا يحاربون من أجله حتى أنه يوجد فى كل مكان لهم . عند رؤسائهم عند المرؤوسين منهم عند رجالهم عند النساء منهم عند العذارى عند المتزوجين عند الأحرار والعبيد . وكلهم يرسمونه رسما متصلا ويصورونه على اشرف أعضائهم ويرسمونه كل يوم على جباههم كأنه على تمثال مشهور وعلى هذه الصفة يرسم فى المائدة الطاهرة وعلى هذه الصورة يرسم به الكهنة . على هذه الجهة يلعب أيضا وقت العشاء الربانى هذا الصليب ييصره التجول فى كل مكان فى بيوت المؤمنين فى أسواقهم فى طرقاتهم فى البرارى فى الجبال فى الروابي فى التلال فى السفن فى البحار فى الجزائر فى ثياب المؤمنين فى أسرّتهم فى أسلحتهم فى خدورهم فى مجالس شربهم فى اوانهم الفضسية فى ظروفهم الذهبية فى صناديقهم على جواهرهم وذخائرهم فى كتابة حيطانهم فى أجسام بهائمهم المألوفة كثيرا فى أجسام من يحصنونه من الشيطان . يتوشحون به فى حين حروبهم وفى زمان سلامهم وفى ساعات ليلهم ونهارهم فى صفوف المنعمين فى طوايف الأشقياء المضروبين .

بهذه الصورة صارت هذه المنحة موقرة عند المؤمنين . بهذه الصفة صارت هذه الموهبة والمنة الممتنع وصفها عند جماعاتهم يحاربون على صيانتها . ليس يخجل احدهم منها ولا يسترها مفكرا انها كانت صورة دالة على موت لعين لكننا كلنا نتجمل بالصليب أكثر من تجملنا بأكاليل أو تيجان أو بوشاحات كثيرة من اللؤلؤ والجواهر . وليس غريبا ان الصليب مقبول وغير مرفوض لسكن أعجب من ذلك أنه ماثور معشوق محروص على تكرمه

من جماعتنا لا مع في كل مكان موضوع في جدران منازلنا في سقوفنا في مصاحفتنا في مدننا في ضياعنا في مواضعنا المسكونة والخير المسكونة .

فأنا أسأل الوثني بلذة كيف صارت الصورة الدالة على هذه العقوبة عقوبة الموت للعين ماثورة عند جميع المؤمنين بحرصون على تكريمها لو لم تكن قدرة المصلوب لم تزل عظيمة ؟ فإن كنت تظن هذا الأمر هينا وليس شيئا ثم تعاند الحق وتتعامى مقابل الضوء فاليك أمرا آخر برهاننا على عظم شأنه . وان سألت ما هو أجبك قد وجد عند الذين يحاقبون المجرمين أنواع من آلات العقاب كثيرة منها خشب وسياط وسيور ورساص واضفار يجردون بها الأجسام وحاديد يحطمون بها الأعضاء فمن من الناس اختار أن يدخل هذه الآلات إلى بيته من يؤثر أن يمسه بيده أو يصاحب الشرط الذين يعملونها ويكون بقربهم أو يبصرهم فكل الناس بمقتونها ولا يريدون لمسها أو النظر إليها وبعضهم يستعيذون ويفرون منها بعيدا ويردون الحاظهم عنها وهذه الحال كانت حال الصليب العتيق في الزمان القديم وأولى ما يقال أن حاله كانت أصعب من هذه الأصناف كثيرا وهذا فقد تقدمت ذكره في كلامي انه كان صورة دالة على موت لعين ولكنه صار عند كافة المؤمنين موقرا يجتهد في تكريمه ماثورا بهذه الصفة عند جماعاتهم مفضلا على جميع الأشياء . وذلك العود بعينه الذي بسط عليه ذاك الجسد الأقدس مصلوبا فوقه كيف صار مكرما في كافة المسكونة يحارب أهلها بعضهم ليحصلوا عليه وكثيرون منهم اذا وجدوا منه يسيرا يحفظونه في غلاف ذهبي ويعلقه الرجال منهم والنساء في أعناقهم متجملين به متحصنين بقوته . على أنه قد كان عود عقوبة وخشبة تعذيب الا ان ميدع البرايا كلها وجابلها الذي نقل المسكونة من رذيلة جزيلة تقديرها الجاعل الأرض سماء هو رفع هذا الصليب وقد كان عارا ولعنة واعلاء فوق السماء وهذه الحوادث كلها اذ تفهمها النبي قال « ويكون محله مجدا » .

القسم السابع

فى فضل الصليب وجزىل بركاته

لأن الصورة الدالة على الموت (ولا افتأ اكرن هذا اللفظ) صارت سببا لبركات جزيلة وسورا للصيانة والحفظ وبها جرح ابليس وغلّب وصارت له ولقواته المعاندة لجاما .

وبهذا الصليب أبطل موتنا وكسر أبواب الجحيم النحاسية وطحنت بكراتها الحديدية وكذلك قلعة ابليس المحال . بالصليب غفرت وهزمت خطايانا . بالصليب انقذت المسكونة الراضحة تحت العقاب الذى تستحقه . الصليب حجز الضربة المرسله من الله الى طبيعتنا . وما لم يقدر عليه البحر المنقسم والصخرة المنفجرة والهواء المنقول والمن النازل من السماء مدى أربعين سنة مع شرائع جزىل عددها فى البرية وفى فلسطين لاصلاح أمة واحدة افتدر عليه الصليب ليس فى أمة واحدة بل فى المسكونة كلها وفى كل أرض تبصرها الشمس . الصليب الدال على الموت الشنيع المخيف المستعان من العار الذى يجلبه افتدر على هذه الأفعال بعد موت المصلوب عليه حتى يعرف عظم اقتدار ذلك المصلوب كيف عمل هذه الأعمال أجمع بأيسر مرام خلوا من حرب . وما فعل هذه الفعال فقط لسكره بعدها أظهر مقدرته وبرهان ذلك أن المسكونة التى كانت خالية من ثمر ونسل فى معرفة الفضيلة والتى لم تقضل على أرض مقفرة ولا فرق بينها وبين امرأة عاقره هذه جعلها ثلث شعرا صالحا وصيرها بخته فردوسا واطهرها اما ذات أولاد لا يحصى عددهم وهذا الفعل تقدم النبى منذ اعلى الزمان واطهره بهذه الصفة اذ يقول « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد اشيدى بالترنم ايتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات اليعل » (اش ١: ٥٤) وجعل هذه الحال الجليلة حالها واعطاها شريعة أفضل من الشريعة العتيقة وهذه العطية فما صمت الأنبياء عنها اذ قالوا « ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم امسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذى أقطعته مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب اجعل شريعتى فى داخلهم واكتبها على قلوبهم » (ار ٣١ : ٣١ - ٣٣) .

والدليل على أنه لما جاء اعتزم أن يخول جميع الذين آمنوا به غفران دنوبهم ما سبق وهو: « به النبي قائلاً » لأنى اصفح عن اثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد » (عد ٢٤) فما الذى يكون ابين من ذلك القول والمع وضوحا لاعلام شان الشريعة الجديدة ونعمته المعطاة لمن آمنوا بها . فطوبى لمن قبل تلك الموهبة ولم يرفضها لأن هذا الاله المحسن الجواد سيحضر فيما بعد قاضيا كما سبق الانبياء واعلنوا ذلك الحضور الرهيب فمنهم من أبصره بالشكل بعينه الذى سيوافى به ومنهم من تقدم فانذر به بكلامه لأن دانيال النبى فيما بين أهل بابل قال « كنت ارى انه وضعت عروش وجلس القديم الأيام لياسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف الثقى وعرشه كلهيب نار وبكراته نار متقدة . نهر نار جرى وخرج من قدمه الوف الوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدمه فجلس الدين وفتحت الأسفار (دا ٧ : ١٠ و ٩) ولكن الأبرار ينتعمون حينئذ ويبتهجون كقول دانيال أيضا عن الأبرار « يستيقظون هؤلاء الى الحياة الأبدية » (دا ١٢ : ٢) .

القسم الثامن

فى شهادة النبوّة ولماذا رفض اليهود دعوة المسيح

أرايت مبالغة استقصاء الانبياء كيف قد سبقوا فآخبروا عن كافة الحوادث ونادوا بكل ما سيكون فكيف تجرؤ اذا أن تنكر وقد ظهرت أمامك هذه النبوات التى تقدم الهتاف بها وقد رايت أن أعمال المسيح حققت تلك النبوات ولم يسقط منها حرف واحد . ليس من يقول أنها كانت الفاظ مخترعة لأننا نستشهد بالذين تسلموا الكتب أولا وقد تمسكوا بها الى الآن وهم أعداء لنا وأولاد صالبي ربنا ولكنهم حافظون لها بغاية تامة . فان سألت لماذا لم يصدقوا كتبهم ؟ أجبتك لأنهم فى ذلك الحين لما أبصروه مجترحا آياته لم يصدقوه وعدم تصديقهم لا يطعن فى صدقه بل سببه تعاميمهم وقساوة قلوبهم . فانتنا نرى أن الله خلق العالم بنظام عجيب يشهد لمقدرته وكل ما فيه ينادينا أن نحمد الله تعالى خالقه الا أنه مع ذلك يوجد قوم يقولون أن العالم متكون من ذاته وبعضهم ينكرون تكونه وغيرهم ينسبون الى الشياطين ابداعه والعناية به ومنهم من ينسبون ابداعه الى البخت والطالع والمولد والى حركات النجوم المتحيرة ولكن هذا الاعتقاد

الكفرى لا يدل أن الله ليس خالقنا للكون وليس عليه تعالى أقل لوم اذا كفر الناس بل اللوم على الذين يسلمون انفسهم للشر فيقودهم الى انكار الحق . فالمرضى مرضا خطرا قل أن ينفعه الدواء بعكس من كان مرضه هينا . كذلك أن النفس اذا كان ودما أن تنظر الواجب ولا تحتاج فى ذلك الى معونات كثيرة وكذلك اذا كانت النفس فاقدة ألود والحسن تعورها أمراض وتسمى أسيرة هواها وتلبث عنيا ولو هداها الى الحق أبلغ الناس . وذلك واضح من ناحية اخرى كم أناس ماسمعوا شرائع وأظهروا عيشة أشرف من الشرائع وغير هؤلاء نشأوا منذ نعومة أظفارهم الى أقصى شيخوختهم فى الشرائع وما كفوا عن انصرافهم عنها . وهذا عينه ما عرض لليهود قديما فانهم شاهدوا آيات وعجائب لاتعد ولكنهم لم يصيروا أفضل مما كانوا . واهل نينوى اذ سمعوا صوتا واحدا انتقلوا عن رديلتهم وپاينوها . وهذا يذوق أيضا اذا تأملنا فى أمر يهوذا فكم تعلم من سيده ولكنه صار مسلما اياه . أما اللص فلم يتعلم قط ولكنه تأثر حالا من وداعة المسيح واعترف به مصلوبا ونادى بملكوته . فلا تتخذ الأشرار ذوى النفوس الملتوية قدوة لك ولكن اتخذ مثلا لك الذين يرتأون آراء قويمة من حقيقة أفعالهم - فاليهود ما آمنوا به الا ان الذين من الأمم آمنوا به وهذا المعنى ذكره الأنبياء لأن احدثهم قال « فلا يتكلم ابن الغريب الذى اقتربن بالرب قائلا افرأنا افرزنى الرب من شعبه » (اش ٥٦ : ٢) وفى حين مجيء مخلصنا قد آمن به كنعانيون وامرأة سامرية بل مدينة السامرة برمتها وكهنة اليهود ورؤساؤهم حاربوه وقاوموا تعاليمه ونفوا الذين آمنوا به خارج مجمعهم . وما كان قديما هو ما يكون الآن فكون البعض لا يؤمنون بالمسيح لا يدعو الى العجب لأن زوال الود وقلة الوفاء والسريرة الباطل فكرها . هذه غريزتها والارادة التى سلبتها قوتها أمراض شهواتها هذه سببها .

القسم التاسع

فى أن لاهوت يسوع تبرهن من تشييده لكنيستته وحفظها

لكل اذ قد ذكرت النبوات التى قالها الانبياء قديما . هلم بنا نذكر النبوات التى قالها جل قوله حين طاف أرضنا وتصرف مع الناس عبيده فى الحوادث المزمع كونها حتى تعرف ولو من هذه الجهة قدرته لأنه لما جاء حينئذ لخلص الناس بدأ يصنع العجائب وتقدم فنذكر حوادث سوف تتم بعد زمان جزيل موضحا عند الكائنين فيما بعد عجائبه السكائنة فى ذلك الزمان مؤهلا القلوب لتصديقها محققا من هذا البرهان صدق أقواله فى وصف مملكته لأن نبواته منها ما يتم فى الزمن القريب ومنها ما يمتد الى البعيد ومنها ما يطبل الى نهاية العالم وكل منها يبرهن على سمو لاهوته ولكى نبين كلامنا نقول بأسهل أيضا .

ان له المجد فى حياته على الأرض كان تابعوه اثنى عشر تلميذا ولكنه لم يكن قد انشأ كنيسة بعد ومجمع اليهود كان زاهرا . فان سألت ماذا تنبأ به لما سقطت المسكونة كلها فى الضلال والالحاد أجبتك أنه على أثر اعتراف بطرس « أنت هو المسيح ابن الله الحى » قال « على هذه الصخرة (أى على اعتراف بطرس) ابنى كنيسةى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٦ و١٨) فمن أى وجه تتأمل الى هذه الكلمة تتحقق صدقه ظاهرا فليس يوجد مدهلا للعقل أنه يبنى كنيسة فى المسكونة كلها لكن الأعجب من ذلك أن ينجيها من كل ما يصيبها وهكذا لا تغلب ولا تقهر لأن هذا هو معنى قوله « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » فالأخطار تولد الموت ومصاعب الأخطار تبيط الى الجحيم . اعرفت صدق نبوته . اعرفت قوة وصول قوله الى غايته . اعرفت الغاظة اللامعة بأفعالها . وقدرته التى يسمو تقديرها وتعرف بأيسر مرام من أعماله كلها . فقوله « ابنى كنيسةى » لا يؤخذ على بسيط فهمه ولكن افتح سريرتك وتأمل بعقلك ما هو عظم الفضاء الموضوع تحت الشمس وأنه قد ملئ فى مدة يسيرة كنائس هذا مبلغ كثرتها .

وأن قوله هذا قد نقل أما جزئيا واستمال اليه القلوب جميعها ونقض
فرائض آباؤهم وتفتن في اقتلاع عاداتهم المتأصلة فيهم وانتزع اللذة المغرمين
بها وطرد قوة الرذيلة واقتلعها وذراها كالغبار بعيدا عنهم وأبعد عنهم
محاربتهم وهياكلهم وأصنامهم وأعيادهم النجسة وأفعالهم الشنيعة وقطارهم
النجس وبددها كما يتبدد الدخان . ثم انشأ في كل مكان مذابحه في رومه
وفي إقليم فارس وفي صقيع الصقالبة وفي السودان وفي الهند وقد وصل
قوله الى أقصى المسكونة التي لنا وبيان ذلك ان جزائر بريطانيا التي موقعها
خارج هذا البحر الموجود في نهر أوكيانوس بعينه قد شهدت بقوة لفظته
هذه لأن هناك فيها كنائس ومذابح متمكنة فذلك اللفظة التي نطق بها حينئذ
هي انخرست في نفوس كافة الذين آمنوا وفي أقواء جماعتهم والأرض كلها
على ما قيل أثمرت صلاحا بعدما كانت مملوءة من شوك الشر وصارت حقلا
نظيفا وتسلمت بذور مذهب الشريف .

ولعمري أن فعلا عظيما يليق بجلاله وقدرته الالهية أن تبقى كنيسته
لا يهلكها اضطهاد أو أذى ولكن أعظم منه وأليق بمجده أن تكون سلامتها
قائمة والذين يرجفونها كثيرون وأن يقدر دون أن يقاومه أحد على استخلاص
مسكونه هذا اتساعها عاجلا من عاداتها التي استحوذت عليها في زمان
طويل وأن ينقلها الى عادة غيرها . والفعل الأعظم أنه لم ينقلها فقط الى عادة
أخرى لكن أعجب من ذلك أنه نقلها الى عادة أصعب من عاداتها بكثير لأنه
ما ضاد العادة فقط لكن مع ذلك ضبط اللذة وهما غاضبتان لأن العادات
كانوا قد تسلموها منذ سنين كثيرة من آباؤهم وأجدادهم وآباء أجدادهم في
نسبتهم وفي حكماؤهم وخطبائهم واقنعهم أن يرفضوها وهذا فكان أصعب
الأفعال وأثقلها وأن يتسلموا عادة أخرى جديدة في ذلك الوقت دخيلة وأصعب
من ذلك أنها حاوية السجية المتعبة كثيرا لأنها حجزتهم عن التمتع وأوجدتهم
في الصوم منعتهم عن حب الأموال والأمالك وثبتتهم في الزهد والقناعة
ابعدتهم من الزنا وقدمتهم في العفة حجزتهم عن الغضب ومكنتهم في الوداعة
منعتهم عن الحسد وثبتتهم في حب المؤاخاة صدتهم عن الطريق العريضة
الرحبة ومكنتهم في السبيل الضيقة الضاغطة بعد أن نشأوا على ضدها
والذين صار معهم ذلك بقدرته هم بعينهم الذين شهدوا أنهم داموا طويلا
متعديين الرذيلة حتى صاروا في طاعتها الذين من الطين ولكنه لما دعاهم

الى سلوك السبيل الضيقة الضاغطة الحرجة الصعبة نفضوا غبارها عنه
ومالت قلوبهم اليه *

وان سألت وكم استمال من القلوب اليه أجبتك أنه ما استمال اثنين
ولا عشرة ولا عشرين ولا مائة ولا ألفا لكن استمال جميع القاطنين تحت
السماء الا القليل منهم وان استخبرت بمن استمال هؤلاء كلهم الى الانعطاف
نحوه أجبتك باثنى عشر انسانا عادمى المعرفة البشرية خالين فصاحة المستنهم
ليسوا من ذوى البسار فقراء لا يملكون وطنا ولا اقتدار أقوال ولا تعمق خطابة
ولا معونة معرفة لكنه استمال لهؤلاء الصيادين والخيبيين قوما لغساتهم
غير لغاتهم لأنهم ما كانوا يعرفون لغات الذين استمالوهم ولم تكن لهم الا
لغة غريبة مبتذلة أكثر من اللغات كلها وهى اللغة العبرانية ببؤلاء
ابتنى المكتسبة البثوثة من أقاصى المسكونة الى اقصانها . وليس هذا الفعل
وحده يوجد عجيبا بل الاعجب من ذلك أن هؤلاء البسطاء الفقراء القليل عددهم
الذين لم يتتقفوا بالمعارف الذين يسهل انزال الهوان بهم قلدوا اصلاح المسكونة
كلها وأوعز اليهم أن يقتادوها فى سجايا وعادات أصعب من غيرها بكثير
وما فعلوا هذه الأفعال فى سلامة لكنهم فعلوها والحروب الشعواء من
سائر الجهات ثائرة عليهم فى كل أمة فى كل مدينة بل فى كل بيت كانت
تثور عليهم حرب لأنهم عند دخولهم ودخول تعليمهم اليه ربما انفصل الابن
من ابيه والكنة من حماتها والأخ من أخيه والعيد من سيده والمرؤوس من
رئيسه والرجل من امرأته والمرأة من رجلها والأب من اولاده لأنهم ماكانوا
كلهم يقبلون تعاليمهم دفعة واحدة وكان ذلك يجلب لهم كل يوم اضطهادا
وحروبا متصلة وميتات كثيرة ويجعل أعداءهم يحذرون منهم كما من
أعداء مشاغبين وكانوا كلهم يطردونهم الملوك منهم والرؤساء العامة والأحرار
والعبيد والجموع والمدن وما كانوا يطردون الرسل وحدهم لكن يفعلون
أصعب من ذلك فيطردون معهم الذين قبلوا إيمانهم الذين كانوا قد وعظوهم
وتلمذوهم فكانت حربهم تنمو نموا يعم التلاميذ ومن يتلمذونهم *

وتلك المقاومة التى وجهت للرسل لأن تعليمهم كان مضادا لأوامر الملوك
والأمم وألغاتهم وفرائضهم لأنهم علموهم أن يبتعدوا عن اصنامهم وأن يحرقوا
هياكلهم التى كان آباؤهم وأجدادهم كلهم يخدمونها وبرفضوا اعمال عباداتهم

وهذه الاعتقادات كانت تعتبر عند أولئك الجهال ذات شأن عظيم فكانوا يبذلون انفسهم من أجلها بذلاً • فكيف تكون عندهم اقل شأنًا مما يعلم به الرسل وكيف يمكنهم ان يؤمنوا بمن ولدته مريم وصلب بعد ان وقف فى مجلس قضاء الرالى وبقى عليه وقاسى مصاعب جزيل عندها وصبر على موت شنيع ودفن وقام وأصناف الامة كانت واضحة لكل الذين شاهدوها وهى ضربه بالسياط واللطم فى خده وافعال الهوان الواصلة الى وجهه الكائنة بمكاره البصاق والبطمات والاستهزاء الكثير وبالجملة فكان امر صلبه ظاهرا للجميع أما دلائل قيامته فما كانت بهذه الصفة لأنه لما قام ظهر لهؤلاء الرسل وحدهم • ولكن الرسل مع ذلك ان قالوا هذه الاموال استمالوا سامعها الى قبولها منهم وابتنوا الكنيسة على هذه الجبة وان سالت كيف ابنتوها وبأية طريقة أجبتك ابنتوها بقدرة الذى امرهم بهذه الامور لأنه هو الذى تقدم وبين لهم افعالهم كلها وجعل الحوادث الصعبة سهلة عليهم لأنه لو لم تكن قدرة الهية التى احكمت هذه الافعال لما كانت هذه الشرائع استمدت مقدمة لها ولا مبدأ لأن كيف يكون ذلك ولكن ذلك القائل للسماء كرنى فكانت وللارض ان توجد فوجدت ولكل المخلوقات ان تظهر فتلمع الشمس وتبدو النجوم وابتدع البرايا كلها بقوله هو بعينه الذى غرس هذه السكنايس وتلك اللفظة « ابنى كنيسة » هى التى فعلت هذه الافعال كلها لأن اقوال الهنا قوية فى فعلها مبدعة افعالها العجيبة لأنه على نحو ما قال « لتتبت الارض عشباً » (تك ١ : ١١) فصارت قابلة لأمره وبغثة برزت فيها الجنات والروج وصارت كلها بستانا مخصبا وكذلك قال الآن « ابنى كنيسة » وكان ذلك بسهولة كثيرة واسرع قوله يتم بأمرع من اللهب والمغتصبون متدرعون بسلاحهم عليها والجنود يبرزون عليها اسلحتهم والجموع مهتاجون أشد من احتياج النار وعاداتهم مقابلة لها والخطباء والحكماء المغالطون والموسرون والرؤساء يعاندونها فافنى الشوك ونظف حقولها وزرع قول انذاره • والذين آمنوا به بعضهم سكنوا السجون وبعضهم أخذوا للمنفى وبعضهم سلبت اموالهم وبعضهم قتلوا وقطعوا وبعضهم دفعوا الى النار ومنهم اناس غرقوا واصطبروا على كل نوع من العذاب مهانين مطرودين من كل جهة وآخرون اكثر من أولئك تقدموا الى الايمان ولم يرعهم ما قاساه غيرهم بل صاروا اكثر نشاطا وهكذا دخلوا الى حظيرة الايمان لا مرغمين ولا مكربين بل برغبة وشوق محاضرين شاكرين للذين هدوهم الى الايمان فضلهم • ومع انهم كانوا

ينظرون دهاء المسيحيين تجرى أنهارا الا أنهم صاروا فى إيمانهم أكثر
حرارة من غيرهم . فهكذا عرض هذا الأمر للتلاميذ وإن تبعوهم فمنهم
أقوام صاروا مكتوفين ومنهم أناس مطرودين ومنهم طائفة مجلودين ومنهم
جماعة لشدائد غير هذه مقاسين فكان المتعلمون لهم يصيرون أكثر عددا
وأوفر نشاطا وبولس العظيم فى الرسل يهتف قائلا « وأكثر الأخوة وهم
واثقون فى الرب بوثقى يجترئون على التكلم بالكلمة بلا خوف » (فى ١ : ١٤)
وقال أيضا « لأنكم تألمتم أنتم أيضا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم
أيضا من اليهود . الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن .
وهم غير مرضين لله واضداد لجميع الناس . يمنعونا من أن نكلم
الأمم لكي يخلصوا » (١ تس ٢ : ١٤-١٦) وقال أيضا لآخرين « ولكن
تذكروا الأيام السالفة التى فيها بعدما أنتم صبرتم على مجاهدة آلام
كثيرة من جهة مشهورين بتعبيرات وضيقات ومن جهة صانئين شركاء
الذين تصرف فيهم هكذا لأنكم رثيتم لقيودى أيضا وقبلتم سلب أموالكم بفرح
عالمين فى أنفسكم أن لكم مالا أفضل فى السموات وباقياسا » (عب ١٠ :
٣٢ - ٣٤) .

أعرفت فرط قدرة العامل هذه الأعمال لأن ليس مدعشا فقط أنهم لم
يجزئوا أو لم يغموا عند مقاساتهم هذه المصاعب لكن أعجب من ذلك أنهم
فرحوا بها وركضوا لها مسرورين ولعمري لعجب ما وصف به الرسول
صبر هؤلاء بقوله « وقبلتم سلب أموالكم بفرح » وكذلك قيل عن الرسل
« فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل
اسمه » (اع ٥ : ٤١) وقال الرسول بولس عن نفسه « الآن أفرح فى الآمى
لأجلكم واكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى » (كو ١ : ٢٤) وهذا
الرسول لم يفرح بالآمه فقط لكنه مع ذلك استدعى تلاميذه الى مشاركته
فى لهذا الفرح فكان هذا دلالة على نفس مسرورة سرورا زائدا إذ قال هذا
القول بعينه . أنا أسر وأبتهج معكم كلكم وقال أيضا هذا القول وأنتم
فابتهجوا مسرورين بفرحى وأنا أقول له قل لى فما الذى جعلك تمتلىء فرحا
هذا المبلغ مبلغه فيجيبنى لأننى أبذل حياتى لتقدم بيعة الله .

وباللعجب من أنه لا يستطيع أحد أن يبني حائطا واحدا ينظم بنساءه

بأجارة وكلس بينما يكون مطرودا ممنوعا من أن يبني . الا أن هؤلاء الأفاضل ابأنا فى كل موضع من المسكونة كئأس هذا مقدار كآرتها وكانوا متهشمين مكتوفين مطرودين هاربين منهوبين مجلودين مذبوأين محروقين معرقين هم وتلاميذهم فأبأنا ليس بأجارة لكنهم أبأنا بنفوس المؤمنين الأفاضل وهذا أصعب كبرا من البأنا بأجارة لأن بئاء آائط أسهل بكآير من نقل نفس قد اطأها الشياطين السنين الكآيرة وعسير آسدا اقتناعا لسكى آنآقل وآترك طغيانها ويتقدم الى عئاء هذا مبلغ عظمتة الا أن العراة الآفاة المآآفين آوبا واحدا اقتصدروا مع ذلك أن يآولوا المسكونة كلها لأن القائل على هذه الصآرة أبنى كنيسةى وأبواب الآآيم لن تقوى عليها مجدهم وآعانهم وآعئهم قادرين على محاربة العالم كله . فكم من أعداء أقويا اصطفوا لمآآآتهم فى ذلك الآين وكم من اضطهادات صعبة آأروها عليهم وكيف كان آال الكنيسة فى كافة الزمان السالف آين كانت الأمانة قد آرست آديدا آين كانت الشعوب آليلة الآميز لينة فى عزائمها وكان الملوك وآئنين لا سيما أوآسطس وطياربوس وآاببوس وآيرون وسوسباسبانوس وآيطس والآين بعدهم كلهم الى زمان قسطنآين السعيد الملك الكبير وهؤلاء أآمع آاربوا الكنيسة فى بعضهم آاربها آربا أقل وبعضهم آآآها آآالا أشد الا أنهم مع ذلك كلهم آاربوها ومع ذلك فهذه الاآآيالات والآارات نقضها أسر من نقض منسآ العنكبوت وصارت أمام آيمانهم كالبآار وصارت أضعف من الآبار وفوق ذلك فبآآل المسبآين اطأروا فضائلهم وآخدمونا بآرك سيرتهم الآميدة التى صارت ذآآرنا فى الكنيسة وأعمدة لها وهكذا لم يكونوا بركة فى آياتهم فقط لكن وبعد وفآتهم أيضا صأروا سبب منآة كآيرة للآين آأوا بعدهم .

آعرفآ قوة سابق قوله أن « أبواب الآآيم لن تقوى عليها » فمن هذه الآواآ الآاضرة آآقنا صدق النبوة المتقدمة أن الكنيسة لم يقهرها آاهر وإن كانوا لم يستطعوا الى قهرها سببلا وعددها قليل آين كانت معآيرة بدعة آديآة آين كان آعليمها آديدا تمكبه . آين كانت هذه الآروب آآاطر عليها ، فبالأولى لا يمكنهم أن يقهروها الآن وقد وصلت الى المسكونة أآمع والى كل موضع منها والى آبالها ورواببها وآلالها والى كل أراضبها وبآارها والى ممالآها التى آعاببها الشمس بعد أن هدمآ الوثنية

واقفلت هياكلهم وحطمت أصنامهم وأبطلت كافة أعيادهم وأفعالهم ودخائلمهم
ودخائلهم وقتارهم ونجس ضحاياهم .

وكيف وصل مذهب هذا سموه وهذا مقدار عظمته مع عوائق جزيل
تقديرها الى غاية بهذه الصورة بهية والى نهاية شاهدة بحقيقته لو لم
تكن قدرة الهية يتعذر محاربتها قدرة الذى تقدم فقال هذه الأقوال
وتعمها ومن يستطيع أن ينكر هذه القوة بعد ذلك ويعاند فى هذا الحق الا
أن كان من المجانين الذين قد انحرف تمييزهم والذين قد عدموا بصائرهم
فى ذات طبيعتهم .

وليس هذه الأقوال فقط لكن ونبوات أخرى تتنادى بقدرته التى يعجز
العالم كله عن محاربتها لانه تقدم فوصف الحوادث المأمولة بكافة الصدق
ومن الممتع أن تسقط لفظة من الألفاظ التى قالها وزوال السماء والأرض
أسهل من أن يطعن على لفظة واحدة من الفاظه ونبواته أنها قيلت عبثاً ولهذا
السبب أوضح هذا المعنى قبل وصول أفعاله الى غايته وحققه على هذه الجهة
تحقيقاً بينا فى صحة أقواله التى قالها وقال « السماء والأرض تزولان
ولكن كلامى لا يزول » .

وذلك على جهة الصدق لأنها وان كانت أقوالاً لكنها أقوال مبدع
أفعالها فعلى هذه الجهة كون السماء وخلق جميع الملائكة على هذه الصفة
أبداع القوات الأخرى غير المنظورة وهذا المعنى قد أوضحه النبى بقوله
« قال فكان وأمر فصار » فهكذا أبداع الخليفة كلها التى فوق والتى أسفل
المحسوسة وغير المحسوسة التى فى جسم والخالية من جسم .

فمن كانت هذه القدرة قدرته يستطيع كل شيء ولنوضح ذلك بأكثر مما
تكرنا من نبوة أخرى لامعة أكثر من الشمس وأسطع من شعاعها موضوعة
لدى أبصار الناس كلهم ممتدة الى كافة الأجيال الكائنة فيما بعد
كامتداد تلك النبوة الأولى لأن نبواته تفوق غيرها لأنها لا تنتهى باتمام
غايته ولا تنقضى فى جيل واحد لكنها تمتد تتعاضد مع جميع الناس
الموجودين والكائنين بعدهم ومع الذين بعد أولئك ومع الذين بعد هؤلاء
ايضا الى الانقضاء لى يتأملوها ويتحققوا قوة صدقها والنبوة التى نحن

بصددها مثل الإولى أيضا لأنها منذ اليوم الذى قيلت فيه والى انقضاء الدهر قد وقفت زاهرة لا تززعزع لامعة منظورة فى كل حين نامية متدرجة الى قدرة أعظم ومنها يجتنى الناس الى يوم مجيء المسيح أعظم المنافع .

وان سألت فما هذه النبوة أجبك لما نظر ربنا فى ذلك الحين الى هيكل اليهود الذى كان حينئذ زاهرا متلألئا فى كل جهة منه بكثرة ذهبه وفضته ونحاسه وتعضمه وفخيم أبنيته حاويا جسامته فخره من حسن صناعته ومادته وآلاته وأذ بهت تلاميذه من جماله اسمع قوله لهم « أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم أنه لا يترك هنا حجر على حجر لا ينقض » (مت ٢٤ : ٢) موضحا انقلاب الهيكل اليهودى بعد ذلك الوقت وخرابه وكمال إبادته لأن تلك الأبنية كلها البهية الظاهر حسناتها صارت الى العدم . اعرفت قدرته أنها عظيمة وصفها فهذا الهيكل الذى لم يضارعه هيكل آخر فى ماكان له من التوقير والتكريم الجزيلين لأن القاطنين من اليهود فى كل صقع من المسكونة فى أقاصى الأرض بأعيانها كانوا يوافقون الى هنالك حاملين الى هيكلهم العتيق هداياهم وضحاياهم وقوابينهم وغلاتهم وأصناف غير هذه كثيرة مجملين هيكلهم بثروة المسكونة وكافة اليهود الملتجئين الى دينهم كانوا يتقاطرون اليه من سائر جهات الدنيا وكان اسم ذلك المكان عظيما وأصلا الى أقاصى الأرض والمسكونة أجمع الا أن كلمة واحدة من يسوع غيبت تلك الأبنية كلها وجعلتها زائلة كالغبار والموضع الذى ماكان لليهود كلهم أن يدخلوه وأليق ما يقال أن المكان الذى ماكانت جماعة الكهنة تقدر أن تدخله ولم يكن الدخول اليه مباحا الا لواحد وحده وهو الذى قد فاز برياسة الكهنة وانما اطلق له الدخول دفعة واحدة فى السنة بطلته وأكاليه وصدورته صار الآن مباحا للأشرار والأثمة وحق لمن لادين لهم أن يمشوا فيه ولا يمنعهم مانع لأن تلك اللفظة عند ورودها غيبت تلك الابنية ونقضتها وبقي من الهيكل أثر مقداره مقدار مايبين الموضع الذى كان فيه العتيق . فتفظن فى هذا الفعل الجليل القدر لأن الذين اقتصدوا على أفعال جزيل قدرها وقهرها ملوكا وأمما وغلبوا فى كل جهة محاربيهم خلوا من دم وحرب وقاموا بظفريات كثيرة جليلة بديعة هؤلاء منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا ما اقتصدوا أن ينشئوا هيكلًا واحدا وهذه حالهم وقد قام ملوك كثيرون يساعدونهم وكل اليهود فى أقطار المسكونة وأموالهم جزيلة لم يستطيعوا ذلك .

أعرفت كيف ماقد بناه ربنا لم ينقضه ناقض وما نقضه لم يبنه بان
 لأنه ابنتى كنيسته فلم يقتدر واحد من الناس أن ينقضها ونقض هيكل اليهود
 فلم يقتدر أحد من الناس أن يعمره . فالأعداء أرادوا أن ينقضوا كنيسته
 إلا أنهم ما اقتصدوا على ذلك وقد اجتهدوا أن يعمروا ذلك الهيكل إلا أنهم
 ما السبواوا ولثلا يقول قائل أنهم لو كانوا قصدوا بنائه لكانوا قد
 قدروا عليه نقول يفتننا التاريخ أنهم قصدوا ذلك وما امكنهم شيئا وبيان
 ذلك أن فى سلطنة يولييانوس العاصى الغالب كل الناس بالحاده خولهم
 سلطانا حينئذ ومساعدة ومارسوا العمل وما امكنهم أن يشرعوا فيه ولا
 قليلا لأن نار طمرت من أساسه فطردتهم كلهم وهذه علامة دالة على أنهم
 أرادوا اعمازته وما قدروا وبقيت أساساته وما امكنهم أن يعمره ولا
 يبتنوا فيه شيئا .

وفى التوراة أن هذا الهيكل قد نقض فى ما سلف من الزمان وبعد
 سبعين سنة عند عودتهم من بابل أنشئ فى الحين وصار أبهى وأحسن من
 الهيكل الأول ولكن بعد أن تنبأ المخلص على خرابه قد عبرت اربعمائة
 سنة وليست لهم همسة ولا انتظار لعمارته أيضا وليس من يمتهم إلا
 القرة الالهية .

والا يوجد كثيرون منهم فى بلد فلسطين وفى كل مكان والفرائض
 اليهودية متقبية ورسوم ذبائحهم وأفعال قرابينهم وأعمال شريعتهم التى
 تناسب هذه معطلة خامدة لأن ليس ممكنا لهم أن يتصوبا نكة ولا أن يقدموا
 ضحية ولا ينضحوا نضوحا ولا أن يذبحوا خروفا ولا يقدموا بخورا ولا
 أن يقواوا شريعتهم ولا أن يعيدوا عيدا ولا أن يعملوا عملا غير هذه من تلك
 الأعمال التى كانوا يعملونها فى الهيكل لكنهم لما كانوا فى وقت من
 تلك الأعمال التى كانوا يعملونها فى الهيكل لكنهم لما كانوا فى وقت من
 الأوقات فى بابل والزمهم الذين سبوهم أن يقرنموا مزمورا واحدا ما اجابوهم
 التى ذلك ولا اطاعوهم وقد كانوا ماسورين وعبيدا لساداتهم الذين استظهروا
 عليهم لكنهم كانوا قد فقدوا وطنهم وحريرتهم وفى أشد الخطر من حياتهم
 بينهم حاضلين فى وسط فخ أعدائهم فلما امروا أن يسبحوا تلك التسبحة
 التى كانوا يسبحونها بالآت المزامير قالوا هذا القول « على انهيار بابل

هناك جلسنا بكتينا أيضا عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف فى وسطها
 علقنا أعودنا لأنه هناك سلنا الذين سبونا كلام ترنيمه قائلين ونموا لنا
 من ترنيمات صهيون كيف نرتم ترنيمه الرب فى ارض غريية . (مز ١٣٧: ١-٤)
 وما يتجه لأحد من الناس أن يقول أنهم انما عملوا هذا العمل لعدم وجود
 اداة الترتيم معهم بل لأنهم افتكروا أنه لا يجوز لهم أن يرتنموا ترنيمه الرب
 فى ارض غريية . اى وهم بعيدون عن الهيكل لأن آلات الترتيم قد كانت
 معهم لأنهم قد قالوا « على الصفصاف فى وسطها علقنا أعودنا » ومع ذلك
 افتكروا أنه لا يجوز لهم أن يصوموا صوما بعيدا عن الهيكل وهذا المعنى
 فقد أوضحه النبى لهم وقال « ألعلمكم صغتم لى صوما فى مدى سبعين سنة
 يقول الرب » والدليل على أنهم لم يضحوا ضحية ولا نضحوا نضحوا فاسمع
 الثلاثة فتية يبينون هذا بقولهم « ليس يوجد لنا رئيس ولا نبى ولا مرشد
 ولا موضع تقدم فيه لديك ثمره فنصادف منك رحمة » وما قالوا ليس
 يوجد كاهن لأن كهنتهم قد كانوا حاضرين معهم لكن لى تعلم أنهم كانوا
 يعتبرون الهيكل مقر العبادة الصحيحة والاشتراك كله به ارتبط وانحصر
 قالوا ليس يوجد مكان ذلك لأنهم كانوا يعتبرون أنه ليس جائزا لهم ولا أن
 يقرأوا قراءة خارج ذلك الهيكل وهذا الفعل فقد شكاه منهم نبى آخر فى
 وقت من الأوقات وقال « قد قرأوا شريعتهم خارج هيكلهم » .

ولعمري أنهم ما عملوا فصحا ولا عيد مظال ولا قاموا بأى فريضة
 من الفرائض لأنهم كانوا قد عرفوا أن هذه كلها قد حججها عنهم اقفسار
 موضعهم وأن تصاطوا منها شيئا فانما يتعاطونه منحرفين عن شريعتهم
 ويدون عن ذلك طائفة معصيتهم وما قدروا أن ينهضوا ببناء السكان الذى
 فيه كان جائزا لهم أن يفعلوا هذه الأفعال كلها بحكم شريعتهم وستتهم
 لأن قدرة المسيح البانية كنيسته هى التى هدمت هذا الهيكل اليهودى وقد
 تقدم الانبياء فنذكروا ذلك أن المسيح عند حضوره يعمل هذه الأعمال مع
 أن واحدا منهم وهو ملاخى كائن بعد أسرهم قال « من أنكم يلقى الباب بل
 لا توفدون على مذبحى مجانا . ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا اقبل
 مقدمة من يدكم لأنه من مشرق الشمس الى مغربها أسمى عظيم بين الأمم وفى
 كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة » (ملا ١ : ١٠ و ١١) .

اعرفت خيف اخرج الديانة اليهودية واطهر الديانة المسيحية بهيه لامعة
منحدة لى كل مكان من الارض وكل ذلك سيق الانبياء وقالوا عنه لاسيما
دانيال الذى انبأهم صريحا ببطلان ذبائحهم بمجىء المسيح - فسيبلنا الان
ان نعارض الطريق التى اعتمدناها وتتلافى محاكمة الوثنين الذين اليهم
وجه القول .

واقول ما ذكرت لكم الاموات الذين انهضوا ولا البرص الذين طهروا
يقال ان هذه الاقوال كاذبة لانه من ابصر هذه الايات من سمعها ؟ على ان
الذين قالوا انه صلب وبصق عليه ولطم واقتيل ضربا على راسه اولئك
بعينهم ذكروا آياته وعجائبه فكيف تصدقهم اذا وصفوا ما احتمل من
اهانة ونزول آياته وعجائبه التى ذكروها فى منزلة اخبار لم تكن ؟ نعم
لقد كنا نلثك فى اقوالهم لو اکتفوا بوصف مجد معلمهم وفخره وصمتوا
عن ذكر العوارض المكروهة المعتبرة عند الكل عارا التى نزلت به - قالان
فقد اظهروا صدقهم ان كتبوا يصفون تلك العوارض المكروهة وذكروها
كلها بأبلغ الاستقصاء وبالفاظ واسعة كثيرة وما اغفلوا منها امرا صغيرا ولا
كبيرا على أنهم فى آياته وعجائبه فقد أهملوا أكثرها أما الامة فذكروها
كلها والعوارض المستكرهة عند الناس اوضحوها بأسرها .

أما انا فانى لم اذكر ولا صنفا واحدا من آياته وعجائبه لى اسد كل
لسان متناول بزيادة وقاحته وانما اوردت الى وسط كل من هذه الأفعال
الظاهرة الآن الموضوعة امام الحاظنا التى هى أبين من الشمس وضوحا
والمزروعة فى كل صقع من المسكونة الواصلة الى اقاصى الأرض كلها التى
أحكامها تفوق الطبيعة الانسانية التى هى أفعال الهنا وحده . فاذا
قلت انه لم يقم ميتا هل يمكنك ان تقول هذا القول ان كناشسه ليست موجودة
فى المسكونة وهل تنكر انها اضطهدت اضطهادات عنيفة وجوربت ولكنها
استنظرت على معانديها وقهرتهم فاذا جاز لك ان تقول ان الشمس غير
موجودة بجوز لك ان تقول ان كنيسة المسيح لم تصيبها تلك العوارض . وما
قولك فى هيكل اليهود أما تعالين انقلابه موضوعا على الحاظ أهل المسكونة
كلها لم لا تفكر فى ذلك ؟ ان لم يكن المسيح الهيا فهو اله قادر لانه حفظ الذين
عبده وارضوه من الهالك الذى حاق بهم ولم يحفظهم فقط بل انماهم وجعلهم

يزيدون عددا أما الذين صادموه وصلبوه تذليلا فقد أوصلهم الى أن
فقدوا مدينتهم ومذهبهم كله وصاروا يجولون ضالين هارين .

ان هؤلاء اليهود قد اعتمدوا حرب أهل روسية وهزوا عليهم أسلحتهم
واستظهروا عليهم في بعض المواضع ومع أن هذا الاقتدار كان اقتدارهم
ولكن مع ذلك الذين حاربوا ملوكا جبابرة وجنودا وقوادا واستباحوا
اناسا جزيلا عددهم ما اقتدروا ان يقيموا هيكل واحد ولكنهم قد ابتنوا
في كل مكان من المدن جوامع لهم والمسكان الذي كان لهم سالفا فخر مذهبهم
وفيه كانوا قد اعتادوا ان يعملوا فرائضهم كلها وفيه التامت ديانتهم اليهودية
كلها ما قدروا ان ينهضوه وبينوه لأجل قوة الذي قال انه لا يبقى فيه حجر
على حجر فله السبح والمجد والقدرة والعظمة والملك مع ابيه الصالح وروح
قدسه المحيي الآن ودائما والى ابد الأبدين وآخر الدهور كلها آمين .

المقالة الثانية

فى الروح القدس

ان بالأمس قد سبج عندنا لحلول الروح القدس المسجود له يا محبى المسيح المجد ليس من الألسن البشرية بل المشهود له بالقوة الأبوية لأن كلام الله ما يتأيد بالقولنا بل بقوة تأثيره فينا لنثمر اعمالا حسنة ويتأيد بها يرشدنا اليه من حسن العبادة فكلام الله موحى به من الروح القدس وتعليم للروح القدس هو مصباح حسن العبادة والهادى الى معرفة الله والقائد الى الصواب فضرورى لكم ان تلبثوا فى استماع تفسير الروح القدس المسجود له لنقول شيئا فى قوته الجيدة القدسية وكرر هذا المعنى نفسه فأقول لنعرف قوة الروح ليس ببليغ كلامنا بل بالثى نتعلم بها من الروح القدس كما تعلمنا الأقوال الالهية ومن الأقوال التى أتذر بها هو نفسه متكلمًا عن ذاته ونطق بها الأنبياء والرسل أظهر عظمته وجلاله .

هو بالطبيعة غير متجزئ لسكونه بارزا من الطبيعة غير المتجزئة ولا منقسمة . وأما اسمه فهو الروح القدس روح الحق روح الله روح الآب روح الابن روح المسيح روح الرب هكذا يسميه الكتاب بل هكذا هو يسمى ذاته روح الله والروح الذى من الله ولثلا اذا ماسمعنا نحن أنه « روح الله » نتوهم أن على سبيل الاختصاص يقال له روح الله أورد الكتاب قائلا « الروح القدس » واطرافه لقوله روح الله والروح الذى من الله لأن السموات والأرض أيضا هى لله لسكونها صنعه وما يقال عن شيء أنه من الله سوى ما هو من جوهره ويقال الروح القدس لأن هذه التسمية هى الأولى والحقيقية والتى تمتلك المعنى صحيحا والموضحة طبيعة الروح القدس روح الله .

من سماه روح الله ؟ اسمع ما يقوله المخلص « ان كنت انا بروح الله أخرج الشياطين » قال روح الله ولثلا اذا ما سمع احد قوله « روح الله » يقوم بان ذلك يدل على الاختصاص وليس على الاشتراك فى الطبيعة اجاب بولس قائلا « ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله »

(اكو ٢ : ١٢) وقد يقال له أيضا روح الآب كما قال المسيح لرسله القديسين « لا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم » (مت ١٠ : ١٩ و ٢٠) كما قال روح الله وأتبع الكتاب قائلًا الروح الذي من الله هكذا يقال له روح الآب ولكيلا تتوهم بذلك على سبيل الاختصاص أكد ذلك المخلص قائلًا « متى جاء المعزى روح الحق الذي من عند الآب ينبثق » (يو ١٥ : ٢٦) هناك قيل فيه من الله وهنا قيل من الآب فالقول الذي أورده عن ذاته بقوله (لآتى خرجت من قبل الله » (يو ٨ : ٤٢) هذا نفسه قاله عن الروح القدس إذ قال الذي من عند الآب ينبثق فالروح القدس إذا هو من الله وروح الآب ومن الآب ينبثق وما معنى قوله من الآب ينبثق ولماذا لم يقل انه من الآب يولد ؟ فنقول لا ينبغي أن نعتقد إلا بما كتب فالابن ولد من الآب والروح القدس منبثق من الآب وأنت تطلب منى بلا بد الفرق ما بين ولادة ذاك وأنبثاق هذا فأجيبك أنك لما سمعت أنه ولد عرفت أيضًا أنه ابن وعرفت أن الأقتوم الأول سمي الآب والأقتوم الثاني يسمى الابن باسمين مكرمين بالايمان ومحفوظين بفكر حسن العبادة - وأما ماهى قوة لفظة ينبثق ؟ فالكتاب لم يقل عن الروح انه ولد لئلا يسمى ابنا فقال الروح القدس الذي من الآب ينبثق أى منبثقا كالماء المنحدر من ينبوع كما قيل فى شأن الفردوس لأن نهرا كان ينبعث من عدن وينبع فالآب يقال له ينبوع ماء حى حسب قول ارميا النبي القائل « ابهى أيتها السموات من هذا واقشعري ... لأن شعبى عمل شرين تركونى أنا ينبوع المياه الحية » (ار ٢ : ١٢ ، ١٣) والاله الكلمة إذ حتم بأن الآب هو ينبوع الماء الحى ذكره أى الروح منبثقا من ينبوع المياه الحية فقال الذي من قبل الآب ينبثق فمن المنبثق ؟ الروح القدس وكيف ؟ كمن ينبوع ماء وقد سمي الروح القدس ماء من قول المخلص « من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حى » وإذا فسر هذا الماء الانجيلي قال « قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه » (يو ٧ : ٢٨ و ٢٩) فان كان البشير يوحنا إذ فسر الروح القدس قال الماء الحى والآب يقول تركونى أنا ينبوع المياه الحية فالآب إذا هو ينبوع الروح القدس ولذلك منه ينبثق والحال انه سمي روح الله والروح الذي من الله وروح الابن وكرر القول روح الله والروح الذي من الله وروح الآب والروح الذي من قبل الآب وروح الرب وقد شهد أيضا اشعيا عن الرب المسيح قائلًا « روح الرب على لأنه مسحنى » (لوقا ٤ : ١٨) وبولس يقول « وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية »

(٢ كو ٢ : ١٧) فان كان حيث يحضر تكون الحرية فليس هو عبدا وان كان الذي يصل فيهم الروح القدس يحلهم من نير العبودية ويهبهم وجه الحرية فليس هو عبدا ايضا اذ كيف يهب مالا يمكنه كيف يكون مانح الحرية عبدا انما سمعت بولس القائل « لان ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني » (رو ٨ : ٢) ايعتق العبيد الروح الذي ما يمتلك الحرية في طبيعته فان كان خلق وتعبد فهو ما يمتق فلا يتفلسف الهرطقة نحونا وليعلموا ان الروح غير مخلوق ولا هو عبد اذ بين الكتاب انه روح الله والروح الذي من الله وروح الآب والروح الذي من الآب ينبثق كما سبق ويسميه ايضا روح الابن كما يقول بولس « اذ كنتم ابناء ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم هائفا يا ابا الآب وفي موضع آخر قال « واما انتم فليستم في الجسد بل في الروح ان كان روح الله ساكنا فيكم » (رو ٨ : ٩) فاتضرع اليك يا هذا اضع الي هذا الانتظام المقدس الذي كسلسلة مقدسة روحية منتظمة كمن قوة مثلثة ذكر بولس الطبيعة ضامًا فيها عدم التجزئ وبأسماء مختلفة أثبت القوة الواحدة بقوله عن الروح انه الروح وانه « روح الله » ثم قال ايضا « ان كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » (عد ٩) فسماء ايضا « روح المسيح » وانما قال هذا ليوضح انه ان كان الروح والمسيح سواء ان كان يحضر المسيح والروح فالحالة متساوية اذ قيل عن الروح انه روح الله وروح المسيح وبالنتيجة نقول انه روح القدس وروح الحق روح الابن وكما قال المخلص انا هو الحق فيقال عن الروح أيضا روح الحق لانه روح الابن كما يقول بولس « ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم » (غلا ٤ : ٦) فهو اذا روح الابن وايضا الروح الذي اقام الرب يسوع (رو ٨ : ١١) .

الفصل الأول

فى وجوب التمييز بين الروح وبين مواهبه

وهذه الأسماء هى أسماء القوة الطاهرة أى قوة الروح القدس المسجود له لأنه قد توجد أسماء أخرى غير موافقة للطبيعة لكنها انما تناسب الفعل . القول عميق يحتاج سمعا صاغيا أكيدا وأمينا لأن الروحسمى أيضا روح الحياة لأن المخلص قال انا هو الحق والحياة . ولأن شريمته روح الحياة . هذه أسماء السيادة أسماء الطبيعة وقد توجد أسماء أخرى التى لا تناسب للروح القدس بل تناسب لقوته وفعله أى مواهبه ولكى أوضح المعنى أقول انه اذا منح الروح القدس لى أو لمسيحى آخر بصلوات القديسين تقديسا فاستمد موهبته ليكون روحى وجسدى مقدسين فالموهبة المعطاة لى تدعى روح قداسة أى موهبة التقديس وان أعطى الروح القدس موهبة لمن ليس فيه حكمة ولن ليس فيه معرفة فيمنحه أيانا فقط لأنه قد يوجد كثيرون لهم موهبة الايمان بالكتب وهم لا يعرفون الكتب ويؤمنون بالكتب فتدعى هذه الموهبة روح الايمان وان أخذ أحد قوة وموهبة من قبل الروح ليصدق الوعد بالخيرات التى تعطى فى الدهر العتيد فهو يأخذ روح الموعد وان أخذ أحد موهبة حكمة فتدعى تلك الموهبة روح حكمة واذا كان لأحد موهبة محبة فيقال فيه انه أخذ روح المحبة وان أخذ أحد موهبة الشهادة فيقال فيه روح القوة فمواهب الروح أو نعمه تسمى أرواها لأن الواهب هو الروح القدس وتكون المواهب والنعمة أسماء مترادفة ولذلك قد يقول بولس « ان لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التينى » (رو ٨ : ١٥) « لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح » (٢ تى ١ : ٧) فهذه تسمى أرواها كما يقول أيضا « ان آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » (اف ١ : ١٣) ويقول « ان لنا روح الايمان عينه » (٢ كو ٤ : ١٣) فقوله « روح الموعد وروح الايمان » أى نعمة الروح القدس التى منحتها .

وان كان أحد وديعا متواضع القلب فقد أخذ موهبة الرداعة وهى نعمة من الله وذلك ما يقوله بولس « ان انسبق انسان فأخذ فى زلة ما

فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة (اعنى بنعمة موهبة الوداعة) ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا » (غلا ٦ : ١) وقد تعطى لأخز قداسة النفس والجسد وتدعى روح القداسة كما يقول بولس الرسول « بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله الذي سبق مؤعد به بأنبيائه ... عن ابنه الذي ... تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة » (رو ١ : ١ - ٤) اعنى بولس الذي شرطن رسولا حسب روح القداسة لأن كثيرين ظنوا أنه يقول ... يسوع المسيح ... حسب روح القداسة . وليس الأمر كذلك بل بولس الرسول المشرطن حسب روح القداسة وذلك لأنه شرطن بعد قيامة المسيح يسوع لأن باقى الرسل شرطنوا قبل الألام وهذا شرطن بعد القيامة ولذلك يقول حسب روح القداسة .

وأقول قولاً آخر وهو أننا عندما نبتدىء أن نقول جميعنا عند تكلمة الأسرار « أبانا الذى فى السموات » فنكون أخذنا روح البنوة أى نعمة روح القدس .

وبالجملة فالروح القدس كما يسميه بولس الرسول هو روح الحياة روح المحبة روح القوة روح التهذيب روح الموعد روح الايمان روح الوداعة روح النبوة وهكذا يسميه المغبوط اشعيا بقوله « ويخرج قضيب من جذع يئس » اعنى عصا ملك المخلص لأنه قد يسمى عهد الملك عصا ثم قال « ويحل عليه روح الرب » وهذا اسم طبيعة الروح . ثم ذكر المواهب فقال روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ، (اى ١١ : ١ و ٢) .

أى أنك اذا أردت أيها المؤمن أو أى مسيحي آخر غيرك أن تفسر قولاً وكان هناك المعنى غامضاً خفياً اعطى الروح القدس فيكشف لك ماخفى من المعاني فتكون أخذت روح الاستعلان اعنى نعمة كشف الأعماق ولذلك اذا شاء الرسول لتلاميذه حسن العباداة ليفهموا معانى الكتب قال « تاكروا اياكم فى صلواتى كى يعطيكم اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان فى معرفته . مستنيرة عيون أذهانكم » (اف ١ :

وحيث يجب أن يجاهر المعلم متكلماً يدعى روح الحكمة وحيث يجب أن يسمع السامع بفهم يدعى روح الفهم . ففم الكارز فيه موهبة حكمة وقلب السامع قيته موهبة الفهم كما قال أرتل « فمى يتكلم بالحكم ولهج قلبي فهم » (مز : ٤٩ : ٢) وآخر لم يأخذ موهبة التعليم بل نعمة لأن يعطى رأياً ومشورة صالحة . فالعلم أحياناً لا يعرف أن يعطى رأياً لئلا يرتفع فتعطى لآخر هذه الموهبة أى أن يثير مشورة صالحة مع أنه لا يعرف أن يعلم . وهكذا كل واحد يقرض الآخرين ويقترض منهم . فموسى أخذ روح الحكمة والتعليم ولكنه احتاج لمشورة حميه يثرون (خر : ١٨ : ١-٢٢) وموسى خضع لمشورة يثرون الذى كان كاهناً للأصنام ولكن لما رجع من الضلال وعرف الله أعطى منه تعالى موهبة المشورة الصالحة وهكذا صار يثرون صورة صالحة للكنيسة التى من الأمم لأن فهم الأمم قد يفوق فهم أصحاب الشريعة .

وكل واحدة من هذه المواهب كانت تعطى حسب الحاجة إليها ولعمري حين أمر الله بصنع خيمة الاجتماع لم تكن الحاجة داعية الى موهبة التعليم بل الى موهبة الصناعة فأعطى الله بعض الاسرائيليين تلك الموهبة كما قال تعالى « قد دعوت بصلثيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه وملائته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاخترع مخترعات » (خر : ٣١ : ٢-٤) .

وبالجملة فان أسماء طبيعة الروح هى كما قلنا روح الله والروح الذى من الله وروح الله وروح الرب وروح الآب وروح الابن وروح المسيح وروح من أقام المسيح روح الصبوة روح الحق وأما أسماء المواهب فهى روح القوة روح المحبة روح التهذيب روح الموعد روح الأمانة روح الاستعلان روح النبوة .

وأما الهراطقة فاذ جهلوا ذلك عندما يقول الكتاب روح القدس وروح الموعد التى يشار بها الى المواهب ينسبون لها للطبيعة قائلين أن الله قد أعطى والروح وهب فيتخذون أسماء المواهب ويصعدونها الى الطبيعة وبذلك تخطوا الحق وحادوا عن الصواب فاضلم عقلم العديم الفهم زاعمين انهم حكماء فحمقوا .

الفصل الثاني

في معنى قول السيد المسيح عن الروح « يأخذ مما لي »

ومن الكتب نتعلم عن الروح فنقول ما قاله المخلص عن الروح القدس « ومتى جاء المعزى الذى سارسله لنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى » (يو ١٥ : ٢٦) وقال أيضا « ٠٠ وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ٠٠٠ انه يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٣ و١٥) فهذه الكلمة الأخيرة يحتج الكافرون ويقولون ان الكتاب أوضح ان الروح تحت سلطان الابن لأنه يفترض منه ما يعطى فاحذر كلامهم ولا تنظر الى لفظ كلام الله بل الى معناه لأنك اذا رأيت أدوات البناء مبعثرة ظهرت لك مشوشة أما عند الصانع فكلها موافقة ويضع كل شيء فى موضعه ومن ثم يظهر لك حسن البناء هكذا لما يتكلم الوحى عن الابن والروح لا تنظر الى الألفاظ المفرقة بل الى المعنى المكون منها لأن الابن والروح قوتها واحدة وحياتهما واحدة وحكمتها واحدة . فلما سر الابن ان يأخذ جبلتنا امتلىء من الروح القدس ليس لأنه اقل من الروح القدس بل لأنه وجب للجسد ان يأخذ حلول الروح بالرسم البشرى ليس لأن الاله الكلمة ما كان قادرا ان يقدر الجبلة التى اخذها فان كنت تتصل الى هذا القول فالابن يكون زائدا أيضا لأنه كان يكفى ان الآب يقدر الجبلة فهل ان الآب كان عاجزا عن ذلك فاستعد الروح مسعفا ؟ كلا بل لأن طبيعة واحدة هى الفاعلة الاشياء كلها فى الكل فمنها ما يفعله الآب وينسب للطبيعة كلها ومنها ما يفعله الروح القدس وبحسب للطبيعة كلها وبالنتيجة يقال ان الطبيعة بذاتها متساوية ومتفقة ممثلة من السيادة السلطانية وعجبية غير مفتقرة ولا ناقصة لا تامة ولا منتقصة ما تقبل الزيادة ولا التصغير .

غير ان الكلمة المتجسد رسم جسده بالروح لتكون العجائب التى يصنعها منسوبة للروح القدس الساكن فيه . فناسوته هيكلم مقدس فهو انسان لأجلنا . واله لذاته وانسان لمحبة البشر اخرج الشياطين وأراد ان اخرج الشياطين ينسب للروح القدس كرجل قدس حطى بالروح القدس واذ دخل الى الهيكل تناول كتاب اشعيا النبي وقرأ ما كتب فيه من أجله

قال « روح الرب على » فهذا لا يناسب لئله الكلمة بل للناسوت ولذلك قال « لأنه مسحنى » كما قال بطرس الرسول « الذى مسح الله بالروح القدس » يوحنا المعمدان قال « رأيت الروح نازلا عليه شبه حمامة » ولا يعقل أن الروح ينزل على اللاهوت ولكنه على الجسد واذ اعتمد للحال صعد من الماء وأخرج من الروح الى البرية - كان الروح القدس للجسد كمرشد ليعلمنا أن جسده لم ينقد بشهوة بل بالروح لنكون نحن هكذا - جربه الشيطان فى البرية فانتصر عليه ولم ينتصر اللاهوت بل الناسوت لأز اللاهوت لا يجرب ولا يحارب بل هو ضابط الكل دون تعب .

فالناتج اذا أن الجسد كان فيه الروح القدس ليس فيه احدى المواهب مثلنا اعنى الواحد حكمة والآخر معرفة بل كان حاويا المواهب كلها - حقا لم يأخذ كما فى الرسل والأنبياء اعنى موهبة دون أخرى بل جميعها لأن الانسان ما يمكنه أن يسعها جميعها أما فى جسد المسيح فكانت المواهب والقوات بأسرها فيما يختص بجوهر البشر - وهيكله مملوء من كل نعمة فكانت له نعمة شفاء الأمراض وإخراج الشياطين وقيامه الأموات والنبوة وقيل الحق هذه كلها كان قادرا عليها - كان له كمال المواهب فكان من لازم الضرورة أن نستمد نحن من الجسد السيدى على جهة ما كمن ينبوع يتدفق على الرسل والأنبياء وبولس يقول « فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا » (كو ٢ : ٩) فلم يقل أن فيه سكن اللاهوت على الاطلاق بل كل ملء اللاهوت اعنى ساير مواهب اللاهوت ولكيلا يظن أحد انه سكن فى الاله الكلمة قال « جسديا » أى سكن فى جسده .

فالناتج اذا أننا من امتلائه نقترض جميعنا لأن الكتاب يقول ان الروح كان نازلا وثابتا عليه فلم يقل واهبا له موهبة واحدة بل كله ثابتا عليه ثم ان شاء أن يوضح يوحنا أن المخلص لم يأخذ موهبته كإنسان قال ان « الأب يحب الابن وقد دفع كل شيء فى يده » (يو ٣ : ٣٥) فنحن اذا من ملئه ناخذ (يو ١ : ١٦) لأنه مملوء نعمة وحقا (عد١٤) فالجسد السيدى لامتلائه نستقى منه كمن ينبوع ومنه نقترض مواهبنا .

فاتضرع اليك يا هذا اذا انتفهم قوله « يأخذ مما لى » فلم يقل يأخذ منى وانما قال مما لى من شيء من مما لى يعطيكم لكنه يأخذ لا مقترضا

بل لسكونه أوغب الينبوع كمبدا المواهب ومن الحوض يستقى ويمنح الكافة المواهب ومن أين يتضح هذا أى أن الروح من مواهبه يأخذ ؟ لما أوغب موسى من المواهب قال « لا أستطيع أن احتمل وحدى ثقل هذا الشعب اختر لك آخر » فقال له الله « انتخب سبعين شخصا وأخذ من الروح الذى فىك واجعل فيهم » فلم يقل أخذ منك بل من الروح الذى فىك « أخذ مما لى » قال الله « اسكب من روحى فى تلك الأيام على كل بشر فيتنبأون » فان كان الله أخذ من موسى وأقرض فالروح أيضا أخذ من الابن وأقرض لأن موسى كان رسم المسيح . فكما أن موسى أخذ منه السبعون هكذا ومن المسيح اقتبلت المسكونة مواهب الروح القدس ومن هذا نفهم قوله « يأخذ مما لى » من التى وهبها لى أنا الانسان الربانى وحدى الذى اتى واستقر فى الذى مسحنى الذى قدسنى الذى اخرجنى الى البرية وردنى ظانرا يأخذ مما لى ويخبركم ولكيما يبين انه لم يذكر الروح القدس لذلك قلت يأخذ مما لى لأن الله قدس الجسد بالروح القدس أى ارسل الآب موهبة الروح القدس الى جسد المسيح فاذا وافت النعمة وضعت المواهب كلها فى المسيح قال « يأخذ مما لى ويخبركم » فما هو اذا قوله انه لا يتكلم من عنده بل كل ما يسمعه يخبركم به . قد قلنا قبل هذا ان شئ آخر هو الروح القدس وشئ آخر هى الموهبة وشئ آخر هو الملك وشئ آخر هو انعام الملك .

الفصل الثالث

فى نقض هرطقنى أريوس ومكدونئوس

من يتقدم للحرب على اعداء كثيرين لا يدرى ايهم يطعن اولا ونحن نحارب الأريوسيين ناكري لاهوت المسيح والمكدونئيين ناكري لاهوت الروح . وقد سبق أن نقضنا كلام الأريوسيين ببراھين قوية كما تشهدون ولعلكم تريدون منى أن أبين ضلال المكدونئيين الذين يقولون أنهم موافقون امانة مجمع نيقية ولكنهم يتشبثون بقول المسيح السابق عن الروح « انه يأخذ مما لى » المسيح قد سبق وقال عن ذاته أيضا « لانى لم أتكلم من نفسى » (يو ١٢ : ٤٩) وهذا ما يحتج به الأريوسيون . وكلا الأريوسيين والمكدونئيين قد حسبوا منكرين للاهوت الابن والروح « لأن من ليس له روح المسيح فذلك ليس له » .

تسالنى ايها الأريوسى كيف أن المسيح لا يتكلم من ذاته ويمالنى

المكدونى كيف يأخذ الروح لما للمسيح فاصغوا الى وانا اتكلم بارتعاد
لأنى اتكلم فى أسرار عظيمة تحتاج الى ارشاد الروح نفسه . فأخشى أن
أسير بالسفينة الى لجة لا غاية لها لأن السفينة اذا كانت على اتم استعداد
ولسكن ليس هناك نسيم يسيرها تقف . هكذا اذا كان اللفظ فصيحاً والعبارة
بليغة لا قيمة لهما فى التعبير عن الأسرار الالهية بدون ارشاد الروح القدس
فلنرتشد بالهامه ليجعلنا نقتع المخالفين لأنى اشهد لهم بالحق لسكى اكون
بريئاً اما الله وكما قال بولس « انى برئ من دم جميعكم » هكذا انا
اقول لهم .

لماذا قال المسيح « لأنى لم اتكلم من نفسى » معلوم ان قبل مجيئه له
الجد ظهر مسحاء كذبة كثيرون منهم توداس ويهوذا الجليلى وغيرهما
(اع ٥ : ٢٧ و ٢٦) ونفس المخلص قال « جميع الذين اتوا قبلى هم سراق
ولصوص » (يو ١٠ : ٨) فقد اتوا مدعين أنهم المسيح ويحاولون اقناع
الشعب بذلك وظهر كل واحد منهم فى وقت غير وقت الآخر فلهذا قال
المسيح « أنهم سراق ولصوص » وان الخراف لم تسمع لهم ثم قال « خرافى
تسمع صوتى وتتبعنى » وذلك لأن أولئك لم يتكلموا بكلام الله بل بكلام
أنفسهم اما المخلص فلما حضر لم يفارق التاموس ولا ترك الأنبياء بل كان
دائماً يستشهد بأقوالهم فلهذا لم يقل أنه يتكلم من عنده بل من الانبياء
موضحاً الفرق بينه وبين من سبقوه فانهم اتوا باسم المسيح ولكنهم لم
يتكلموا من التاموس ولا الأنبياء بل من قرائنهم تكلموا بالضلال فذلك قال
المخلص « لأنى لم اتكلم من نفسى » كمثل أولئك ولم أخرج عن الشريعة
كما خرجوا هم .

هكذا نحن اذا راينا هراطقة يتحركون بتعاليم ارسطوطاليسية او
افلاطونية نقول نحن نتكلم بكلام المسيح لا بكلامنا بعكس أولئك فانهم يتكلمون
بكلامهم وهذا علامة أنهم انبياء كذبة كما قال الله بلسان ارميسا النبى
« لانهم انما يتنبأون لكم باسمى بالكذب . انا لم أرسلهم يقول الرب »
(ار ٢٩ : ٩) .

فمن حيث ان الأنبياء الكذبة كانوا يكرزون من عندهم والمخلص مقصياً

التشايخ قال « لأنى لم أتكلم من نفسى ، لأنهم كانوا قد ظنوا انه مضل وهذا نثيته أنه لما كان فى عيد التجديد اختلفوا بشانه » بعضهم يقولون انه صالح وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب ، (يو ١٠) ولما وضع المخلص فى القبر قال اليهود لبيلاطس « قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى اتى بعد ثلاثة أيام اقوم » (مت ٢٧ : ٦٣) فلما ظن اليهود المسيح مضلا أراد أن يثبت لهم صدق أرسلتيه من السماء فقال لهم « لأنى لم أتكلم من نفسى ، بل من الناموس والأنبياء . لا بل كل ما سمعته من الآب حسب اللاهوت يقصد بل من قبل أليجسد ليذيل ارتياهم . ويبين لهم الفرق بينه وبينهم وأنهم يتكلمون بما سمعوه من أبيهم ابليس ولذلك يتكلمون بالكذب أما هو فكلام الله الحق ونفس هذا معنى قوله عن الروح « يأخذ مما لى ، »

لأنه كما ظهر أنبياء كذبة ومسحاء كذبة كذلك سيظهر كثيرون يدعون بأن فيهم الروح القدس وحلوله فيهم . ولما ظهر المسيح قال أنا هو المسيح وأبطل وعد الكاذبين ولكن الروح لم يتجسد حتى يظهر ويقول أنا هو الروح الحقيقى ولكنه حل على المؤمنين على بطرس وبولس . وفى الوقت نفسه ظهر سيمون ودعى أن فيه الروح فمن اللازم أن يعرف الناس الفرق بين الروح الحقيقى والروح الكاذب . فالوجه لا يدل على ذلك لأن كثيرين ادعوا أن فيهم الروح كما فى وضعت الناس بهم فيشترط اذا أن تكون هناك علامة للتمييز فقال « يأخذ مما لى ، أين يكون المتكلم بروح الحق فاذا الابن يكمل أقوال الآب وما يتكلم من عنده والروح يكمل أقوال الابن وما يتكلم من عنده فاذا سمعته يقول ارسل لكم الروح القدس فلا تعنى ذلك حسب اللاهوت لأن الآله اللاهوت ما يرسل وهذه الألفاظ انما هى أسماء الله على الأفعال أسماء خفية لامعة خفية بالرتبة والامعة بالثاوريا اعنى أن كل مرسل يرسل الى تلك الأماكن التى يوجد فيها . افرض أنا المتكلم فى هذا المجلس ما أقدر أقول لأحد أرسلتك هنا . هذا ليس ارسال بل جلوس معى أو حضور عندى فان كان الله هو موجود فى كل مكان لأنه يقول أنا مالىء السموات والأرض فالى أين اذا يرسل من هو موجود فى كل مكان ان صدعت الى السماء فأنت هناك وان نزلت الى الجحيم فأنت هناك أيضا وان اتخذت له أجنحة وسكنت فى أولخر البحر فهناك أيضا يدك تهدينى ويمينك تضبطنى . فالله قد يرسل ولكن أليس هو فى كل محل والمرسل ليس هو فى كل محل . ارسل الله ابنه الى العالم الا أن العالم من الابن

كون فلهدا اذا جاء الى العالم فليس كمن لم يكن قبل ذلك فى العالم لأن يوحنا يقول « كل شىء به كان » والعالم به كون « فكيف اذا أرسل الى العالم ؟ وأيضا ان كان أرسل المرسل وبقى مرسله فوق والمرسل تحت كيف قال الذى أرسلنى هو معى ؟ كيف أرسل القائل « أبى فى » ثم كيف أرسله ؟ فاذا عندما يقول أرسل اليكم الروح القدس أعنى موهبة الروح القدس ولكيما تعرفوا أن الموهبة ترسل والروح ما يرسل قال المخلص للمرسل « أقيموا فى اورشليم الى ان تلبسوا القوة من الأعلى » و « ستأخذون قوة متى حل الروح القدس عليكم » الا أن القوة الممنوحة هى خلاف الروح المانح لأن هذه كلها ينعها الروح الواحد نفسه موزعا لكل واحد ما يخصه كما يشاء وأما انت فما يمكنك أن تثبت الروح القدس مرسلا باللاهوت مجردا .

من الذى قال هذه الأقوال الأب أم الابن ؟ انظر كيف ينطق بالتعاليم الانجيلية ولهذا يصح له أن يقول انى لست أتكلم من ذاتى بل بروح الله ويحرض على ذلك أيضا روح التواضع وانكار الذات .

ومفاد قول المسيح « يأخذ مما لى ويخبركم » أن يعطيهم هذه العلامة لعرفة الكارز الأمين من الكاذب لأن الذى يقول أن فيه روح الله ويتكلم مطابقا للإنجيل فهذا اتبعوه وأما الذى يخالفه فلا تصفوا له . فالذى يكرز بأقوال المسيح يكون فيه أرواح القدس لأنه « لا يستطيع أن يقول أحد المسيح رب الا بالروح القدس » وبالعكس كما جاء مائى الضال وادعى أنه هو المعزى الذى وعد به المسيح ولكنه علم بأن الشمس والقمر يخلقان وأنهما يجتذبان الانفس ويصعدانها . فأين قرأت هذا فى تعاليم المسيح ؟ فهو اذا يتكلم مما له عنده بعكس روح الله الذى كانت تعاليمه وتعاليم المسيح سواء حتى أن قوله له المجد « يأخذ مما لى ويخبركم » نفهمه بمعنى أن ما قلته لكم هو يحققه . وكما أن السيد المسيح كان يكمل الناموس والأنبياء هكذا الروح القدس يكمل انجيل المسيح وكما حقق المخلص الناموس هكذا حقق الروح كلام المسيح . فكلما كتب فى الناموس تممه المسيح وكلما هو فى تعليم المسيح تممه الروح القدس لا لأن أقوال الأب فى العهد القديم ناقصة فجاء المسيح ليكملها بل ظهر فأكد هذا الروح القدس ظهر فأكد أقوال الابن كيف نثبت هذا قال المخلص « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع

الحق ، (يو ١٦ : ١٢ و ١٣) فلذلك قال المخلص « يأخذ مما لي ، لأنهم يقول لهم مالم يقله المسيح . »

إرسال الروح قد يحتسبه الهرطوقى حقارة لأنه لا يفهم أن الروح يرسل ولا لينقل لهذا كتب أن الله سكب روحه اعنى موهبة الروح القدس فاللاهوت ما ينسكب بل الموهبة ولذلك يتضح أن الذى ينسكب ليس هو الروح القدس بل نعمة الروح الالهى قال المرتل « انسكبت النعمة على شفقتك ، فالنعمة تنسكب وليس واهب النعمة فالناتج إذا انه ليس لكلام الهرطقة قيمة وأما أنت فإكرم الروح القدس الذى أخذته . قد قلت مرارا كثيرة أنك كسبت إذ بإيالك المسيح أخذ منك المسيح جيلتك وأعطاك هو روحه . كرم هو جيلتك إذ اجلسها عن يمين الآب فهكذا مجد الروح القدس الذى يسكن فيك . بهذا التعليم نطق الأنبياء وعلم الرسل واعترف الشهداء وأمن القديس حسنت عبادتهم والسكنيسة مؤيدة بذلك والمجدف به هزم والمؤمن قد اقتنع والمسيح قد تمجد لأن له المجد والاكرام والسجود مع الآب والروح الكلى القداسة المحيي الآن وكل أوان الى دهر الدهرين آمين . »